مجلة رفوف – مخبر المخطوطات – جامعة أدرار – الجزائر ـــــــــــــــــ المجلد: 12 / العـدد:01 (مـــاي 2024) ص 538– 566
ISSN: 2335–1381 EISSN: 2602–5949 Legal Deposit: 2013–6352

الهجرات الحجازية إلى شرق إفريقيا وآثارها الحضارية من خلال كتابات المستشرقين:
كتاب "الدعوة للإسلام" لتوماس أرنولد أنموذجا

Hijazi Migrations to East Africa and Their Civilizational Impacts Through the Writings of Orientalists: The Book 'The Call to Islam' by Thomas Arnold as an Example

ط.د.عائشة غندوز [1]، أ.د. نور الدين شعباني [2]
ghendouz. aicha [1], chabani. Noureddine [2]
1 جامعة الجيلالي بونعامة–خميس مليانة (الجزائر)، ghendouz.aicha@univ-dbkm.dz
مخبر المؤسسات الجزائرية عبر التاريخ ودورها في التنمية الوطنية
2 جامعة الجيلالي بونعامة –خميس مليانة (الجزائر)، chabani.noureddine@univ-dbkm.dz

تاريخ الاستلام: 2023/08/27	تاريخ القبول: 2023/11/08	تاريخ النشر: 2024/05/16

الملخص: تأتي هذه الدراسة كمحاولة لرصد بعض تجليات الآثار الحضارية للهجرات الحجازية إلى شرق إفريقيا، وذلك من خلال أخذ عينات من مدونات المؤرخين المستشرقين، الذين كتبوا عن أحوال الإسلام والمسلمين. وأهم كتاب كان محورا للدراسة، هو كتاب "**الدعوة للإسلام**" "**لتوماس أرنولد**" أنموذجا، والذي يعد من أهم الكتب التي تحدثت عن الدور السياسي لهذه الهجرات، التي نتج عنها ظهور مجموعة من الممالك السياسية على الساحل الإفريقي، ارتقت إلى إرساء معالم الثقافة العربية–الإسلامية، من خلال: التعريب، ونشر العادات والتقاليد العربية، بالإضافة إلى وفود العلماء المتصوفة، والمراسلات العلمية مع العالم الإسلامي. وهذا كله بالاعتماد على كتب مستشرقين آخرين، كتبوا عن الظاهرة التاريخية نفسها، التي عالجها "توماس أرنولد"؛ لكن جلهم تباينت طروحاتهم حول الموضوع.

كلمات مفتاحية: توماس أرنولد؛ كتاب الدعوة للإسلام؛ قبائل الحجاز؛ شرق إفريقيا؛ الهجرات العربية؛ انتشار الإسلام؛ المستشرقين.

Abstract

This study attempts to trace some manifestations of the civilizational impacts of the migrations from the Hijaz to East Africa, through samples from the writings of oriental historians who documented the conditions of Islam and Muslims.

The most important book that served as a focal point of study is 'The Call to Islam' by Thomas Arnold. This book is considered one of the most important works that discussed the political role of these migrations and their resulting emergence of a group of political kingdoms along the African coast. These kingdoms played a significant role in establishing the features of Arab-Islamic culture through Arabization, the dissemination of Arab customs and traditions, as well as the arrival of Sufi scholars and scholarly correspondences with the Islamic world. All of this is based on the works of other orientalists who wrote about the same historical phenomenon addressed by Thomas Arnold. However, their perspectives on the subject have varied

Keywords: Thomas Arnold; "The Call to Islam" book; Hijazi tribes; East Africa; Arab migrations; Spread of Islam; orientalists.

المؤلف المرسل: عائشة غندوز: ghendouz.aicha@univ-dbkm.dz

1. مقدمة :

إن البحث في حقل الدراسات التاريخية، التي تربط شعوب شبه الجزيرة العربية مع شعوب شرق إفريقيا، وبالتحديد هجرات القبائل الحجازية إلى شرق إفريقيا، لا يعد أمرا سهلا، خاصة إذا تم الاعتماد على الكتابات الاستشراقية، التي تطبعها شبهة إخفاء الحقيقة التاريخية بين ثنايا النص، والتعمد في الابتعاد عن الموضوعية التاريخية.

بغض النظر عن ذلك، فإن طبيعة العلاقات التاريخية بين أهالي الحجاز وشرق إفريقيا، تمخضت عنها مجموعة من الآثار الحضارية في البيئة الحجازية، ومثال ذلك: أننا نجد عبر كل العصور الإسلامية، بداية توافد مجموعة من الجاليات الإفريقية من مختلف القبائل على الحجاز؛ حيث مارست هناك مهنا وحرفا معينة، مثل: التجارة، والحدادة، والحراسة، وغيرها.. كما وصل البعض منهم إلى مكانة راقية في المجتمع الإسلامي، مثل: الصحابي الجليل بلال الحبشي، وارتقت هذه الوشائج؛ بتصدير الحجيج والعلماء الأفارقة، الذين جاوروا بلاد الحرمين الشريفين خلال العصر الوسيط. مع ذلك تبقى الآثار الحضارية للهجرات الحجازية في شرق إفريقيا، محاطة بكثير من الضبابية والغموض.

وبالتالي، فإن المصادر الجغرافية العربية، رغم معاصرتها لهذه الهجرات، إلا أنها سكتت عن ذكر الكثير من الأخبار والحوادث، كما كان الكثير منها ينقل عن سابقيه، ولا يأخذه بالاً لمعاينة المكان، وتقصي الحقيقة التاريخية؛ ربما مرد ذلك لجهل بعضهم بالمسالك، أو لأسباب أخرى نجهلها، وبالمقابل نجد الكتابات الاستشراقية التي تمتاز بإنتاج فكري ضخم، غائبة عن التناول في الكثير من الأبحاث الأكاديمية.

بهذا تكمن أهداف هذا البحث، في إثراء تاريخ شرق إفريقيا في عصره الوسيط، بتقديم طرح آخر، ربما يختلف عن سابقيه، وذلك بتناول الكتابات الغربية والاستشراقية المهتمة بقضايا الإسلام في شرق إفريقيا، بالإضافة إلى محاولة الكشف عن التأثير الحجازي في ممالك وسط وجنوب شرق القارة الإفريقية، ولكل هذه الأسباب ارتأيت ضرورة تسليط الضوء على مثل هذه المواضيع، ولو على جزئية منها، لمعالجة الآثار الحضارية لتلك الهجرات في شرق إفريقيا من منظور المستشرقين؛ لهذا جاء السؤال الرئيسي كالتالي: **كيف تميزت نظرة المستشرقين للأثر الحضاري للقبائل الحجازية في شرق إفريقيا؟ وعلى وجه الخصوص المستشرق توماس أرنولد من خلال كتابه الدعوة للإسلام؟** ويتفرع عن هذه الإشكالية، عدة تساؤلات فرعية:

. من هو "توماس أرنولد"؟ وما علاقته بالتاريخ الإسلامي حتى يكتب فيه؟

. من هم أهم المستشرقين، الذين انصبت اهتماماتهم بدراسة أثر الجاليات الحجازية المهاجرة في شرق إفريقيا؟ فيما تمثلت أهم الآثار الحضارية للمهاجرين؟ وماهي مظاهرها من خلال كتاب الدعوة للإسلام، وغيره من كتب المستشرقين؟

. ماهي الاختلافات التي تميز بها "توماس أرنولد" عن غيره، في نظرته لطبيعة العلاقات العربية–الافريقية؟

تمثلت منهجية البحث من خلال تقسيمه إلى عناوين رئيسية، وأخرى ثانوية. تناولت كعنوان أولي دور العلاقات التاريخية للحجاز في هجرة قبائله إلى شرق إفريقيا؛ ثم تحدثت عن كتاب "الدعوة للإسلام" للمستشرق "توماس أرنولد"، ومضمون بعض المدونات الاستشراقية؛ وأخيرا، دراسة مظاهر وتجليات الآثار الحضارية للحجازيين بمختلف جوانبها، سواء سياسية، أو اجتماعية، أو علمية، أو ثقافية. وفي الخاتمة، أدرجت استنتاجات وتوضيحات حول البحث، كما أرفقتها ببعض التوصيات ذات علاقة بالموضوع.

في معالجتي لهذه العناصر، تتبعت المنهج التاريخي، الذي يقوم على التحليل والنقد، وحتى الوصف، أي وصف الحدث التاريخي كما تم ذكره، ثم تقديم نقد له، ومرات أخرى أتبع التحليل والتمحيص، لمعرفة ما أراد الكاتب قوله، ومقارنة قوله مع كتابات استشراقية كتبت ضمنه.

2. دور العلاقات التاريخية للحجاز في هجرة قبائله إلى شرق إفريقيا: كان للعلاقات التجارية التي ربطت موانئ الحجاز مع التجار والموانئ الافريقية، دور كبير في ربط جسر العلاقات والهجرات، بين شبه الجزيرة العربية، وشرق إفريقيا قبل الإسلام، وبعده.

1.2.مفهوم الهجرة: لابد لنا أن نوضح أن الهجرة التي عرفتها الشعوب والأمم، في الفترات التاريخية السابقة لعهود الإسلام، أو في عهده، تختلف عن مفهوم الهجرة في وقتنا الحالي، وبذلك سنقدم مفهوما يتماشى مع الفترة التاريخية المدروسة في بحثنا هذا.

أ: المفهوم اللغوي: ورد المفهوم اللغوي للهجرة في المعاجم والقواميس اللغوية، بكيفية تتشابه، أو تتفق مع بعضها البعض؛ إذ جاء تعريفها في قاموس اللغة للجوهري، بأنها: الهجرُ ضد الوصل. وقد هجر، هجرا، هجرانا. والاسم والهجرة هجرتان: هجرة الى الحبشة، وهجرة الى المدينة. والمهاجر من أرض إلى أرض: ترك الأولى للثانية. والتهاجر: التقاطع. ومهجرات، أي بفضائح. والهجرُ، والهاجرةُ، نصف النهار عند اشتداد الحر (الجوهري، 2009، صفحة 1198). وفي القاموس المحيط: وردت في معنى هَجَرَ هجراً: تباعد. ويقال هجر الفحل: ترك الضراب. هَاجَرَ: ترك وطنه، تركه وخرج منه إلى غيره. تهَاجرَ القوم: تقاطعوا. والقوم الماء تناوبوه، (المعجم الوسيط، 2004، الصفحات 972–973). أما في مختار الصحاح، عند أبي بكر بن عبد القادر الرازي فعرفها: الهجر ضد الوصل. والهجرة، والمهاجرة، مهاجر إلى أرض: ترك الأولى للثانية. والتهاجر: التقاطع. والتهجير، والتهجر: السير في الهاجرة. وتهجر فلان تشبه بالمهاجريين" (عبد القادر الرازي، صفحة 433).

أما في القاموس المحيط، فمعناها: أهجر في منطقة إهجارا وهجرا، وبه: استهزأ، وتكلم بالمهاجر، أي الهجر. وهاجر: قبيلة. وبفتح الجيم: أم إسماعيل عليه السلام، ويقال لها آجر أيضا. والهجرُ والهُجير موضعان. والهاجري: البناء ومن لزم الحضر. والتهجر: التشبه بالمهاجريين. والهُجيرة: تصغير الهجرة بالفتح، وهي السنة التامة. (الفيروز آبادي، د.ت، صفحة 496)

ب: المفهوم الاصطلاحي: مثلت الهجرة في مفهومها العام، واحدة من أقدم الظواهر الإنسانية التي عاشتها المجتمعات المختلفة، فكانت الواسطة في إعمار الأرض، وبناء الكثير من الدول، والمجتمعات. كما كانت محطة لتلاقي مختلف الحضارات (لعمراني، 2021، صفحة 343) وعليه تعرف عملية الهجرة بأنها: عملية انتقال، أو تحول، أو تغير فيزيقي لفرد، أو جماعة من منطقة، اعتادوا الإقامة فيها إلى منطقة أخرى؛ أو من منطقة إلى أخرى، داخل حدود بلد واحد؛ أو من منطقة إلى أخرى، خارج حدود هذا البلد. وقد تتم هذه العملية بإرادة الفرد أو الجماعة أو بغير إرادتهم، وإنما باضطرارهم إلى ذلك قسرا، أو لهدف خططه المجتمع. وقد تكون عملية الانتقال والتحول في المكان المعتاد للإقامة من منطقة إلى أخرى، على نحو دائم أو مؤقت. ويترتب عن المهاجر نقل مظاهر الحياة برمتها إلى مكان الهجرة الذي وصله (الكرعاوي، د.ت، الصفحات 4-5)

إذا كان موضوع دراستنا، يسلط الضوء بشكله الأساسي، على دور الهجرات الحجازية في ظهور الممالك الإسلامية، بعد هجرتهم إلى أرض الهجرة، والمظاهر الحضارية التي تمخضت في البيئة الافريقية، فإن المفهوم العام الذي اتفقت عليه غالب الدراسات التاريخية للمجتمعات، أن من نتائج الهجرة إذا كانت قسرية، ستؤدي بطريقة حتمية إلى سقوط دول، وزوال الممالك، وبالمقابل قيام أخرى محلها، ويؤدي هذا العامل –أيضا– إلى الاختلاط العرقي والثقافي، الذي يكون نتيجة حتمية لذلك (نور الأعرجي، د.ت، صفحة 268)

2.2. دور العلاقات التجارية في توطيد الترابط بين الحجاز وشرق إفريقيا: لم نجد في كتاب الدعوة للإسلام، للمستشرق توماس أرنولد، ما يفيدنا عن علاقة الحجاز بشرق افريقيا، في الفترة التي تسبق ظهور الإسلام. أما الفترة الإسلامية، فقد عبر عنها بأن: "أرض شبه الجزيرة العربية، كانت وثيقة الصلة بالشرق الإفريقي، لكن المؤسف في ذلك، أن الحقائق التاريخية التي دونت بخصوصهما كانت ضئيلة جدا" (أرنولد ، 1947، صفحة 286).

كما تفيد أحد الكتابات السودانية، أن القبائل الحجازية كانت سباقة في اتصالها بالكيانات السياسية الوثنية، والمسيحية، بمنطقة القرن الإفريقي، وسودان وادي النيل، منذ فترات ما قبل الإسلام، عن طريق التجارة المتبادلة بين الطرفين (مسعد مصطفى ، 2011، صفحة 117). وتوماس أرنولد كغيره من المؤرخين العرب، أرجع رواج انتشار الإسلام إلى نشاط التجار، وغيرهم من المسلمين الذين ترددوا على البلاد، ونقل لنا في ذلك نصوصا توثيقية من عند المقريزي، الذي نقل هو الآخر رواياته عن ابن سليم الأسواني (أرنولد ، 1947، الصفحات 86-87).

في العهود القريبة إلى بزوغ فجر الإسلام، تنبهت قبيلة قريش، ومنهم بنو عبد مناف الهاشمي، إلى ضرورة عقد الإيلاف، وتنظيم التجارة –كما جاء في سورة قريش– مع الدول المجاورة لهم، وخاصة الحبشة. وكان في هذا الوقت بها مملكة أكسوم؛ حيث اتفقا مع النجاشي على أن يتاجروا بأرضه بسلام، وبالمقابل كانت أسواق العرب غير مقصورة على العرب وحدهم، وإنما تواجد فيها التجار الأفارقة، الذين يعرضون تجارتهم هناك، ويشترون ما يليق بهم من بضائع العرب (عبد الكريم عبد الرزاق، د.ت، صفحة 343).

وفي صدر الإسلام خرجت هجرة لجماعة إسلامية إلى منطقة القرن الإفريقي، تميزت عن غيرها من الهجرات بالعديد من الميزات، نظرا لأبعادها الحضارية بين المنطقتين (مجدي صالح، د.ت، صفحة 15)، وزاد بعد ذلك تردد تجار الحجاز في العديد من الموانئ التجارية للشرق الافريقي، وعن طريق هذا الاحتكاك التجاري والاختلاط الاجتماعي، تم ادخال الدين الإسلامي. وكان ممن راق به حلاوة العيش، و كثرة الرزق بقي هناك، حتى تزوج من أهلها، وتقارب مع سكانها، ثم توطدت العلاقة مع حكامها (محمد توفيق، 2018، صفحة 49). وساعدت موانئ إفريقيا الشرقية، مثل: مصوع، وأدوليس، وعيذاب، وزيلع، العملية التجارية للحجازيين في شرق أفريقيا، وكان لها دور كبير في تنشيط العلاقة التجارية، التي نقلت معها الأفراد والأفكار في آن واحد، وهو ما عرف بالتسرب السلمي (عوض هديل ، 2018، صفحة 50). وصلت فيما بعد إلى دواخل القارة الافريقية لوادي النيل، وما إلى غيره، وكان ذلك بفضل قبائل البدو الرحل، الذين وسعوا دائرة الإسلام، خصوصا خلال القرن التاسع الهجري(15م) (**Nehemia . Pouwels** ، د.ت، صفحة 1)

كما أجمع عدد من المؤرخين والمستشرقين وعلماء الأنثروبولوجيا، أن شرق إفريقيا شكلت محل استقطاب للعديد من العناصر الحامية التي آثرت العيش فيها، وذلك ما يفسر لنا اعتبار المؤرخين الأقدمين، أن اليمن والحبشة قطريين منفصلين جغرافيا، لكن قسمين لقطر واحد مترابطين حضاريا (غنيم، 1980، الصفحات 51–52)، كما كانت هذه الأرض ملاذا آمنا، لحالات الفرار والرعب للعديد من القبائل، التي آلت إلى علاقة سيئة بينها وبين السلطة السياسية الحاكمة في المشرق الإسلامي، خاصة عند ظهور حروب الردة على العديد من القبائل التي دخلت في الإسلام رغبة في المغانم، لا جهادا في سبيل الله ، وبهذا فإن العناصر المرتدة من القبائل الحجازية أصبحت ملاحقة من قبل السلطة الحاكمة (جاه الله، 2013، صفحة 73)، وما كان عليها إلا أن تهاجر وتنضم لفروعها التي سبقتها في الهجرة (غنيم، 1980، صفحة 61).

كما ساهم اشتهار بلاد النوبة في الصحراء الشرقية، اقتصاديا، في اجتذاب الكثير من القبائل إلى مناجمها(**أنظر التعليق رقم 01**)، (قمر الحاج، د.ت، الصفحات 9–10). والحملة التي قادها "عبد الله بن حميد العمري" بغض النظر عن الأهداف الأخرى، كان هدفها الاستيلاء على مناجم الذهب الموجود في شرقي وغربي حوض النيل، واشترك كثير من القبائل العربية في هذا الجيش، خاصة جهينة، وربيعة التي أقامت قواعد كثيرة لذلك الجيش، باكتشاف مناجم جديدة للتبر (الشيخ الفادني ، 1999، الصفحات 123–151) ، كما وصل بعضهم إلى ضفاف النيل، وأقاموا شبكة من الطرق للقوافل التجارية بين ساحل البحر الأحمر والمناطق الداخلية، وقد وصلت العرب أقطار وادي النيل عن الطريق الشمالي البري، المار عبر سيناء إلى مصر، ثم انحدرت جنوبا إلى بلاد البجة والنوبة (قمر الحاج ، 2002، الصفحات 27–29)، وفي هذا الصدد أشار المستشرق سبنسر ترمنجهام الى اعتبار أن معاهدة البقط لم تكن إلا لتنظيم العلاقات بين العرب وجيرانهم، وسببا للسماح لهم في دخول الصحراء الشرقية لبلاد السودان (ترمنجهام ، 2001، صفحة 75)، وبما أنه كانت التجارة إحدى أهم الوسائل التي تمثل هذه

الاتصالات، نشطت حركة التجارة بين مجموع المراكز؛ بما يؤكد أهمية حركية التنشيط، الذي أدته القبائل العربية المهاجرة (قمر الحاج، د.ت، الصفحات 11–17) .

وتجدر الإشارة، أن العدد الضخم الذي أعطاه توماس أرنولد عن حجم الدعاة في بلاد الصومال وسط قبائل الجالا، والمقدر بمئات الآلاف، يوحي بجلاء إلى أن شرق إفريقيا، كانت مسرحا مبكرا لنشاط الدعوة الإسلامية، كما كانت لهم نفس الجهود الدعوية في بلاد النوبة، لكن الأخبار عن هذا الشق ضئيلة، بالنظر إلى النقص العام في تدوين تاريخ الإسلام في هذا الشق من القارة (أرنولد ، 1947، الصفحات 289–293) ؛ وبذلك كان للمصالح المتبادلة بين الطرفين دور كبير جدا، في وصول الإسلام إلى الجزء الجنوبي من شرق القارة الأفريقية (**vilhanova**، 2010، صفحة 135).

3.2. القبائل الحجازية المهاجرة إلى شرق إفريقيا: أدت تحركات القبائل وهجرتها دورا عظيما، في نشر الإسلام في إفريقيا، وكانت أغلبها بدوية غير مستقرة، تنتقل من أوطانها انتقالا فصليا، أو تهجر هذه الأوطان لأسباب اقتصادية، أو لغيرها من الأسباب (الدام، 2022، صفحة 153) ؛ وبذلك كان للمصالح التجارية المتبادلة بين الطرفين، دور كبير جدا في وصول الإسلام إلى الجزء الجنوبي من شرق القارة الافريقية (**vilhanova**، 2010، صفحة 135). ومن أكبر هذه القبائل هجرة إلى بلاد النوبة، قبيلة جهينة، التي اختلف النسابة في نسبها: هل هي من عرب عدنان أم قحطان؟ أما الكاتب مهدي رزق الله فاعتبرها:" خليط هائل من القبائل العدنانية والقحطانية وبطونها المختلفة، التي تجمعت في أنحاء النوبة الشمالية، إلى حين تجمع خليط آخر عقب سقوط دنقلة (رزق الله، د.ت، صفحة 168)، ذلك أنه منذ الفتح العربي لمصر، نزحت مجموعة من قبائل بلي وجهينة إلى بلاد البجة الصحراء الشرقية لبلاد السودان، وفي نهاية القرن الأول الهجري(7م) عبرت مجموعة أخرى من عرب هوزان(**أنظر التعليق رقم02)** البحر الأحمر، وزادت هجرات عرب بن أمية في القرن الثاني للهجرة (8م) (مسعد مصطفى ، 2011، صفحة 120)، كما هاجرت قبيلة ربيعة(**أنظر التعليق رقم03)**، التي تشمل بطون بكر وتغلب، ويعرفون جميعا باسم وائل وعبد القيس، والتي كثرت هجراتها خلال القرن الخامس الميلادي، أي قبل الإسلام (ماكمايكل، 1990، صفحة 189)، كما وفدت هجرة أخرى للقبيلة نفسها في العهد الاسلامي (**أنظر التعليق رقم04)** في القرن الثالث الهجري(9م) عندما تم إجلائها مع مضر وتميم إلى أسوان والعلاقي وعيذاب، وسكنت بين النيل والبحر الأحمر (ابن حوقل، 1996، صفحة 29)، وبعد قرن من هذا قام حاكم الفاطميين بترحيل الكثير من القبائل العربية القاطنة بمصر إلى المنطقة الجنوبية من الصعيد (**Slyomovics**، 2016، صفحة 15).

ومن القبائل التي هاجرت، قبيلة قضاعة وبطونها، التي اختلف في نسبها، خاصة أيام معاوية بن أبي سفيان، فهناك من أرجعها إلى كهلان، وآخر إلى حمير **(أنظر التعليق رقم05)**، ومن أشهر قبائلها التي انتقلت إلى شرق إفريقيا: قبيلة بلي، التي انتشرت جنوبا في كل من بلاد البجة والحبشة والسودان (المباركفوري، 2007،

الصفحات 127–149)؛ بالإضافة إلى ذلك هاجرت قبيلة كنانة التي تنتسب إلى كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس. وأهم بطون القبلية هجرة، وتأثيرا في ربوع مختلفة من شرق إفريقيا، هي بطون قبيلة ربيعة، التي منها تغلب وضبيعة وشيبان وحنيفة (**أنظر التعليق رقم06**). وهذه القبيلة التي تعد –آنذاك– من أشهر فرق الخوارج (عزام، 2009، صفحة 95) ، ورافقت هجرات من بطنها قيس عيلان و قبيلة جهينة (البكري، 1992، صفحة 155)، بالإضافة إلى بطون الأوس والخزرج(**أنظر التعليق رقم07**)، وخزاعة ومازن (المقيحفي، 1985، صفحة 19)، وكذلك قبيلة طيء، التي هاجرت مع حلفائها المهاجرين (الحبشي ، 1990، صفحة 35)، وانتشرت قبيلة الجعافرة القادمة من الحجاز بين أسوان والصعيد (**Slyomovics**، 2016، صفحة 31)، وبعد مقتل آخر خليفة أموي في مصر (**أنظر التعليق رقم08**)، تبعه نحو أربعمائة شخص من أقربائه وأتباعه، متوجهين شرقا، مارين بأرض الصحراء الشرقية للسودان، حتى سواحل الحبشة وتخومها (قمر الحاج، د.ت، الصفحات 3–7). وبعد هجرات قبائل بني أمية، هاجرت القبائل الجعلية، والتي اختلف حول صحة نسبها القبلي (قمر الحاج ، 2002، صفحة 37) كما جاءت قبائل بني هلال وبني سليم (إبراهيم إسحاق، 1996، الصفحات 15–107)، بالإضافة إلى وفود قبائل القواسمة، الذين تحالفوا مع الفونج بمصهراتهم (إبراهيم دياب، 2006، صفحة 66)، وهاجرت –أيضا– قبائل كنانة، التي تعود إلى أسد وفهر بن مالك (ابن عبد ربه الأندلسي ، 1993، صفحة 266) .

و تشير المستشرقة "سوزان سلوموفيكس" أنه ما بين القرنين الثالث والرابع الهجريين (9م–10م) تكثفت الهجرات أكثر من قبل، لكن غالبها كان موجها إلى الجهة الجنوبية من بلاد الصعيد، خاصة بعد إعلان هذه القبائل، أنها ذي نسب وشرف، ومزاحمتهم للفاطميين على الأراضي المصرية (**Slyomovics**، 2016، صفحة 28). ومن خلال ذلك يبدو –أيضا– أن الإسلام وصل إلى الصومال مبكرا مع التجار العرب الوافدين، وكانت أول هجرة ناتجة عن اضطهاد المكيين لمعتنقي الإسلام(**Christine Choi**، 1986، صفحة 96).

3. كتاب "الدعوة للإسلام" لتوماس أرنولد ومضمون بعض المدونات الاستشراقية: مهما تنوعت نية وأهداف الكتاب المستشرقين، في تناول تاريخ الإسلام وآثاره الحضارية على الشعوب والأمم، لا بد من الولوج إلى هذه الكتابات، وفحص مضامينها، من خلال النقد والتحليل والمقارنة، لتبيين الصحيح من الزائف.

1.3. توماس أرنولد (Thomas Arnold) واهتماماته بالتاريخ الإسلامي الوسيط:

أ: مولده، ونشأته، ورحلاته: هو مستشرق انجليزي ولد يوم19 أفريل 1281هـ/ 1864 لوالد كان يعمل في تجارة الحديد، وكانت أسرته شديدة التدين، والتقشف، تنتمي إلى مذهب ديني تزهدي، عرف بالمخالفين، وهو الآخر تميز بثورته على الكنيسة، وتشكيكه بمعطيات المسيحية، منتقدا لها، ثم توجه صوب المفهوم الأخلاقي والروحي السامي للدين؛ وكان ذلك دافعا في تشكل موقفه من الإسلام، بعد انتقاله إلى الهند، واحتكاكه المباشر بالمسلمين(الهتار فهد، 2018، صفحة 236).

تعلم في كمبريدج، وقضى عدة سنوات في الهند، أستاذا في جامعة "**علي جرة** "، وهو أول من جلس على كرسي الأستاذية، في قسم الدراسات العربية بمدرسة اللغات الشرقية بلندن. وهناك عني فيها بتدريس اللغة العربية، والعلوم الإسلامية، ثم أختير عميدا لها عام 1921م. وقد زار مصر في أوائل سنة 1930م، وحاضر في الجامعة المصرية، عن التاريخ الإسلامي؛ ساعده ذلك على الكتابة في دائرة المعارف الإسلامية (الهتار فهد، 2018، الصفحات 225–260)، وذلك لإلمامه باللغة العربية والفارسية، وكذا معظم اللغات الأوروبية (أرنولد ، 1947، صفحة 5).

يقول عنه حسن إبراهيم حسن، تلميذه، وأحد محققي كتابه الدعوة للإسلام، الذي بنينا عليه موضوع بحثنا: "**فقد حظيت بالانتماء إليه، والسير وراء إرشاداته العلمية، أثناء وجودي بإنجلترا، وكان من عمدة المستشرقين الإنجليز في التاريخ الإسلامي، فلا غرو، إذا أحدث موته الفجائي خسارة فادحة للعلم، والمنشغلين باللغة العربية، والتاريخ الإسلامي بوجه خاص**" (إبراهيم حسن ، 1932، صفحة 199). يرى الكاتب " أبو الحسن علي الحسن الندوي" أن الكثير من المستشرقين، كرسوا حياتهم لدراسة تاريخ الإسلام، دون أن تحركهم دوافع دينية، أو اجتماعية، أو اقتصادية، أو اجتماعية، أو دينية، بل لمجرد ذوقهم وشغفهم بالعلم، بذلوا فيه جهودا ضخمة، منهم أرنولد، صاحب الكتاب القيم: الدعوة الإسلامية (على الحسن الندوي، 1986، صفحة 13).

ب: اهتمامات توماس أرنولد بالتاريخ والعلوم الإسلامية: أفاد أحد الباحثين، أن توماس أرنولد أعجب بالإسلام، وكان متضلعا في علومه، منصفا له في أبحاثه، ولم تسجل عليه هفوة واحدة في كتاباته، وعد مرجعا في الدراسات الإسلامية (محمد توفيق، 2018، صفحة 31). كما له مخطوطات باللغتين العربية والفارسية، واللتين كان حاذقا فيهما، متواجدين في أمانة حكومة الهند؛ ودراسة العربية في نشرة مدرسة الدراسات الشرقية؛ والرمز والإسلام في مؤتمر تاريخ الأديان (العقيقي، 1964، صفحة 505) ، وفي الهند، درس الفلسفة، وتقرب من علمائها، منهم "شلبي النعماني"(1857–1914م)، الذي كان من كبار علماء الهند، وأفاده كثيرا من خلال مرافقته لرحلاته إلى بلاد الشام، ومن تأثره به ارتدى الزي الإسلامي، تعاطفا مع زملائه المسلمين، وتلامذته؛ مما أكسبه احترام مسلمي الهند، كما أن دخوله في مناظرات معهم، تمخض عنه تأليفه لكتاب "الدعوة إلى الإسلام" سنة 1896م (أكرم بشار ، 2009، الصفحات 2–4).

ومن أهم كتبه كتاب "**الخلافة** "، تتبع فيه تاريخ منصب الخلافة في الإسلام، منذ الخلفاء الراشدين، وحتى الصراع والجدل الذي احتدم في وقته بخصوصها. ومما يلاحظ عليه في كتاباته التاريخية، اعتماده على مصادر التاريخ، والقرآن الكريم، والحديث الشريف، وكتب السياسة والحكم، وعلم الاجتماع، ومؤلفات المستشرقين، ورغم ذلك فقد راح ضحية الكتابات الاستشراقية، عند تدوينه كتاب "**الخلافة**" (الهتار فهد، 2018، الصفحات 223–226). وله كتاب "**الكتاب الإسلامي**"، فضلا عن دراسات أخرى مختلفة... ورغم ذلك العدد الكبير من الكتب والدراسات، إلا أن"

كتاب الدعوة إلى الإسلام "، يعد من أهمها قيمة؛ حيث تناول في ثنايا دفتيه منطقة إفريقيا جنوب الصحراء (أكرم بشار ، 2009، صفحة 4)، وآخر ما كتبه هو دراسة عن العهدين القديم والجديد، التي نُشرت بعد وفاته في سنة 1932 م (الزغبي، 2012، صفحة 112).

ج: التعريف بكتاب الدعوة للإسلام: تناول العديد من الكتاب والباحثين هذا الكتاب، وعلاقته بتاريخ إفريقيا جنوب الصحراء، أو بالتاريخ الإسلامي عموما، لكن لم يتناولوه بالصيغة التي أردناها في تحليل ثنايا كتاباته، وكشف ما هو مجهول أو غير مفهوم في تاريخ الممالك الإسلامية، وأوضاعها الحضارية بعد هجرات القبائل الحجازية؛ وبهذا فقد عرفه الكاتب "**عماد الدين خليل**" بأنه وثيقة تاريخية قيمة عن انتشار الإسلام، غزير المادة، غني المصادر المتنوعة، ودقة التوثيق الذي عوملت به هذه المادة، لكن كاد أن ينحرف عن الموضوعية التاريخية المتعمدة (خليل، 2006، صفحة 2007).

وبهذا الأساس؛ فإن النسخة التي اعتمدناها في إعداد بحثنا هذا، هي الطبعة الثانية، والمترجمة إلى العربية من قبل الدكتور "حسن إبراهيم حسن"، وزميليه "عبد الماجد عابدين"، و"إسماعيل النجداوي" في عام1947م. والكتاب يقع في 521 صفحة، ويحوي فهرسا عاما في نهايته، وهو يتألف من ثلاثة عشر بابا، (أرنولد ، 1947). جاء الكتاب في مجمله متحدثا عن دين الرسالة، وانتشار الإسلام كدين، وانتشاره بين الشعوب المسيحية في آسيا وإفريقيا، وصولاً إلى الخاتمة التي تضمنت خلاصات مهمة (الزغبي، 2012، صفحة 114)، وفي نفس المنحى فإن الكاتب المحقق، والناقد الإسلامي "عماد الدين خليل"، من خلال مراجعته لكتاب "توماس أرنولد" "الدعوة إلى الإسلام"، خلص إلى العوامل التي رآها هذا الأخير، كعامل تأثير في نشر العقيدة الإسلامية بين الأمم والشعوب، ألا وهي: **حماسة الدعاة**، و**القدوة والالتزام**، **والتفوق الحضاري والحياة المزدهرة**، و**التحرير والمساواة**، **والمأزق العقائدي والتاريخي للأديان الأخرى**، **وحرية الاختيار ورفض القسر**، و**النجاح المذهل**، ويقصد بها سرعة انتشار الإسلام والنجاح الباهر لحركة الفتح الإسلامي (خليل، 2006، صفحة 47).

كما خلص في كتابه هذا، على حد تعبير الباحث " عماد الدين خليل"، إلى المؤشرات الأساسية للشعائر الإسلامية كافة، بأنها يسيرة سهلة، تتوغل في صميم الحياة، وتمارس حضورا متواصلا، يجعل المسلم في حضور دائم مع الله، وللعقيدة التي ينتمي إليها هذا، وإلى ما تتميز به هذه الشعائر من واقعية، مع مطالب العقل، ومعطيات المنطق، (خليل، 2006، صفحة 32). والباب الحادي عشر منه، تناول المؤلف " **توماس أرنولد**" انتشار الإسلام في إفريقيا جنوب الصحراء، من ذلك وصوله إلى سواحل إفريقيا الشرقية والغربية (أكرم بشار ، 2009، صفحة 5)، لكن نحن نرى أنه قدم في كتابه هذا، معلومات متفردة على غير سابقيه، بخصوص قيام الممالك الإسلامية في الشرق، كما لاحظنا من خلال عودتنا إلى الكتاب، أنه في الكثير من المرات، يستشهد بالقرآن الكريم، ويذكر مصادر معلوماته؛ أي يعطي الفضل لسابقيه من المؤرخين العرب، عند نقله للمعلومة (أرنولد ، 1947، الصفحات 99–106)؛ ما جعل كتابه هذا، ينال إقبالا عظيما، وترجم إلى عدة لغات، منها: اللغة التركية (العقيقي، 1964، صفحة 204). وعلى هذا فما قام به المستشرق توماس أرنولد يعد عملا جيدا، باعتباره بعيدا عن الواقع الإسلامي، كما أنه لم يزر

منطقة شرق إفريقيا، كباقي زملائه المستشرقين، لكن إلى حد ما، فقد تحدث بشكل معقول، مبينا الجانب المشرق لتاريخ الإسلام (أكرم بشار ، 2009، صفحة 21). وبذلك فإن الدراسة التاريخية للإسلام بالمجال الصحراوي، وصلت إلى مرحلة النضج، أي الوعي الفكري، والوزن التاريخي (**Hanretta**، 2005، صفحة 497)؛ ولهذا السبب بالذات، سعت الكنيسة التبشيرية، والجمعية الجغرافية للدراسات الإفريقية الإسكتلندية، إلى إيفاد البعثات التبشيرية والرحلات الاستكشافية، التي طعنت طعنا لادغاً في آثار المسلمين، وحاولوا بكل جهودهم إزالتها عن الوجود، وكذا نهب ما تيسر من آثار مخطوطة، وخرائط جغرافية.

2.3. نماذج عن أهم المستشرقين وكتاباتهم حول تاريخ الإسلام في شرق إفريقيا: لا يعرف بالضبط من هو أول غربي عني بالدراسات الشرقية، ولا في أي وقت كان ذلك، ولكن المؤكد أن بعض الرهبان قصدوا الأندلس في إبان عظمتها ومجدها، وتثقفوا في مدارسها، وترجموا القرآن والكتب العربية إلى لغاتهم(اسماعيل علي، 2012، صفحة 212). وقد طغي في فكر وكتابات كثير منهم، أن بداية العصر الإسلامي في إفريقيا جنوب الصحراء، كانت مع بداية العصر الإسلامي، الذي عُدَّ ذروة ازدهار القارة، مع ذلك، لازال يشوب كتاباتهم ذات الزخم العلمي الواسع، الكثير من الغموض (فيصل محمد ، 1997، صفحة 15)؛ حيث استعان هؤلاء في دراستهم لتراث الشعوب والمجتمعات، بالمناهج الأنثروبولوجية، التي نقول أنها أهملت في الأبحاث العربية (عبد الغني غانم، 2019، صفحة 13)، وفيهم من كان يركز جهوده ومساعيه على دراسة مواضع الضعف في تاريخ الإسلام (على الحسن الندوي، 1986، صفحة 13)، دون الإحاطة بالأسباب أو العوامل الكاملة التي آلت إلى ذلك الحدث التاريخي المدروس. ومن هؤلاء الرحالة، الذين قدموا كتابات حول المؤثرات العربية في ممالك شرق إفريقيا، وعلاقة هذه البلاد بشعوب شبه الجزيرة العربية، وأهمها إقليم الحجاز، نذكر من ذلك، لا للحصر:

أ: الرحالة جيمس بروس James Bruce (1730 –1794): يعتبر جيمس بروس من أبرز الرحالة الذين زاروا السودان، والحبشة، والإسكندرية عام 1768م، كما وصل البحر الأحمر، ومنه وصل إلى جدة، وفي العودة قصد مصوع مباشرة، وزار آثار مملكة أكسوم الباقية، ونظرا لأنه كان طبيبا؛ فقد اختاره ملك الحبشة –آنذاك– رئيسا على فرسان القصر، وحاكما على إحدى المقاطعات، فأتيحت له الفرصة لأن يمدنا ببعض المعلومات والحقائق عن أحوال هذه البلاد، من ذلك أخلاق المجتمع الحبشي، وعاداتهم وتقاليدهم، وحتى الموانئ التجارية وعلاقاتها الاقتصادية مع البلاد الإسلامية المشرقية، وكذا مراكز التجارة للممالك الإسلامية الافريقية في الداخل. وفي هذا الصدد أشار –أيضا– إلى التطور الكبير الذي عرفته مملكة سنار، وتنظيمها السياسي والإداري، وأهم البطون التي ظهرت، نتيجة التزاوج والمصاهرات الاجتماعية مع أهل الحجاز في بلاد النوبة والحبشة (مقار، 1995، الصفحات 3–12).

ب: الرحالة براون روليه Brown Roulet: مكتشف، وتاجر فرنسي، اشتغل في التجارة حتى جمع ثروة كبيرة من تجارة الصمغ، تجول في كثير من بلاد النوبة والنيل الأبيض، محققا، ومنقبا تحت غطاء التجارة، احتك بالقبائل البدوية هناك، وجمع معلوماته التي حوت قيمة علمية وجغرافية، لما تضمنته من المعلومات والحقائق الهامة عن حياة القبائل والشعوب الزنجية، كما كتب عن خصائص ومميزات النوبة الجغرافية، وما تحويه من ثروات وموارد طبيعية، والعادات والتقاليد المشتركة بينها وبين بلاد مصر، كما اعتبر أن سكان النوبة، سواء في المدن أو القرى، ما هم إلاّ خليط من السودانيين، والفونج، والنوبيين الممتزجين بالعرب (مقاد، 1961، الصفحات 7–29).

ج: **الرحالة وليم جورج برون William George Brown (1768– 1813)**: قام برحلات عدة، أهمها والتي تهمنا: رحلته إلى السلطنة السنارية، والتي عبر منها بلاد الحبشة. وكان هدفه من زيارة سنار، هو العثور على الأدوية الطبية التي اشتهرت بها هذه المملكة، ثم رغب في زيارة لبلاد الحبشة، وكذا سلوك طريق القوافل التجارية عبر الصحراء. ومما تأكد له وتحقق، أنه وصل الى سلطنة دارفور، وكسب صداقات حميمية مع من هم قريبين من سلطان دارفور، مستغلا في ذلك خبرته الطبية، وما كان معه من أدوية. وبذلك تعد رحلة برون، من أهم المصادر التاريخية والجغرافية المهمة عن تاريخ الإسلام وممالكه في شرق إفريقيا، وبالأخص سلطنة دارفور الإسلامية، التي اهتم بوصف طبيعتها النباتية، وصفا دقيقا، لأنه كان متخصصا في النباتات الطبية. ومن النباتات الطبية التي كان العرب يتناولونها لعلاج بعض الأمراض: الهجليج أو الحجلج (مقار، 1995، الصفحات 24–26).

د: الرحالة لويس بوركهارد Louis Burkhard (1784–1714م): زار بلاد النوبة في الصحراء الشرقية من السودان، ومما امتاز به معرفته للغة العربية والكيمياء والتعدين والجراحة، وبهذا امتازت كتاباته –أيضا– بدقة الملاحظة والمشاهدة، في معلوماته عن الأوضاع السياسية، والإدارية، والاجتماعية، والتجارية، السائدة في بلاد النوبة، فكان وصفه يختلف عن غيره من المستشرقين. والأهم الذي يهمنا من ذلك، العلاقات التي جمعت القبائل العربية مع سكان النوبة، الذين كانوا يدفعون لهم الجزية، كما تحدث عن بطون القبائل الحجازية التي انتشرت بعد هجرتهم إلى هناك. درس القوافل التجارية ومحطاتها التي كانت، في بعض الأحيان، تتعرض للصعلكة واللصوصية، ومما يحسب له اهتمامه بالجوانب الاجتماعية للقبائل السائدة هناك، مثل: قبيلة العبابدة، الذين عايشهم، وتتبع جوانب حياتهم في مختلف مجالاتها ومظاهرها الحضارية، مثل: طبيعة الحياة العلمية والثقافية السائدة في السلطنات الإسلامية في السودان، وتميزهم بشراء الكتب من سوق مصر المجاور لهم، كما كانوا على احتكاك كبير بمكة، ليتفقهوا بعلوم الدين والشريعة الإسلامية. ومن العادات العربية التي استمرت مع القبائل المهاجرة، هي عادة الأخذ بالثأر، كما عرفوا التزين بالحلي، الذي كان غالبه محلي الصنع (مقار، 1995، الصفحات 49–65) .

و: سبنسر ترمنجهام Spencer Trimingham: يفيد أحد الباحثين الغربيين، أن بعض دراسات الاستشراق مبنية على الافتراء، والتحقير، والجهل، والتلفيق؛ بدلا من أن يكون بحثا علميا، أو محاولة للبحث عن الحقيقة(**Martyn**، 2011، صفحة 3)، ومنهم على حد علمي– سبنسر ترمنجهام – أحد المستشرقين البريطانيين

المتخصصين في الدراسات الافريقية، ارتبط بالتنصير، بعد أن أكمل دراساته العليا، وذلك عندما انضم إلى "جمعية الإرسالية الكنيسية"، اهتم بالكتابات الخاصة بالاستشراق والتنصير، كما تولى التعليم الجامعي، كتب عددا من المؤلفات عن الإسلام والمسلمين في قارة إفريقيا. ويلاحظ أن عمله الأكاديمي في مجال الدراسات الإسلامية، لم يتجه إلى تحقيق شيء من الكتب الإسلامية المخطوطة، مع إدراكه لأهمية هذا العمل، وتمكنه من اللغة العربية. تتبع المخطوطات ذات العلاقة بمجال دراسته، لكن عمله التنصيري كان مستحوذا على جل نشاطه، واعتبر مرحلة انتشار الإسلام لسبب اقتصادي بحت، والقرن الخامس الهجري (11م) يمثل بداية انتشاره (الخثلان، 1996، الصفحات 195-208).

4. مظاهر التأثير الحضاري للهجرات الحجازية من خلال كتابات المستشرقين: (أنظر التعليق رقم09)

لا يخفى على أي باحث، قيمة البحث الجغرافي للمؤرخين المسلمين، منذ أواخر القرن الثالث الهجري(9م)، ودورهم الكبير في تغير تقسيم المعمورة إلى أقاليم معلومة، والتخلي عن الطريقة الفارسية في التقسيم الجغرافي. وعند ترصد الممالك الموجودة جنوب خط الاستواء، تم اعتبار ممالك شرق إفريقيا، من ضمن تقسيمات المعمورة، لكن أغلب أخبارها كانت عندهم مجهولة (عقله المومني، 2000، الصفحات 18-21)، ولربط موضوع هذه الممالك مع منظور البحث الاستشراقي؛ فإنه يؤكد ثلة من الباحثين الغربين، أن هناك بعض المستشرقين المنصفين، الذين عرفوا الاستشراق بأنه أسلوب غربي لا غير، هدفه الهيمنة وإعادة البناء والتعمير، مستهدفة حضارة الإسلام الشرقية، وذلك لتمييزها على الحضارة الغربية-الأوروبية (**Agama** . **Kem** .**Br Sebayang**، الصفحات 66-65).

1.4. المؤثرات السياسية للهجرات (قيام الممالك الإسلامية): يكاد ينفرد المستشرق توماس أرنولد، عن غيره من المستشرقين الآخرين، بإشاراته إلى دور الحجازيين في شرق إفريقيا، وخاصة الدور السياسي. في حين ظلت غالب الكتابات التاريخية تعطي الدور لهجرات عربية أخرى. وبغض النظر عن ذلك أشارت الدراسات الحديثة أن دراسة تأثيرات الإسلام على المجتمعات من قبل المستشرقين، ماهي إلا وجهة نظر غامضة تجاهه، مقيدة بكتابات بعيدة عن الموضوعية (**Aziz** . **Mohd Farhan**، 2017، صفحة 1246).

أ: تأسيس مملكتي مقديشو وكلوة: اعتقد المستشرقون البريطانيون، وغيرهم، أن إفريقيا لم يكن لها تاريخ قبل مجيء البيض، أو بأي حال من الأحوال، لا شيء يستحق التذكر. لكن الأبحاث الحديثة، تُملي أن شرق إفريقيا كانت الموطن الأصلي للإنسان في تنزانيا وإثيوبيا، بناء على التنقيبات الأثرية التي اكتشفها علماء الآثار (**Rashid**، 2015، صفحة 61). وفي هذا المضمون تطالعنا العديد من المصادر والكتابات التاريخية، التي أرخت للأوضاع السياسية، والاجتماعية، والدينية، السائدة في بلاد المشرق الإسلامي، أن ثمة مجموعة من الهجرات لأهل الحجاز. وعلى هذا سنتطلع الى ما أفاد به المستشرقون، ومنهم مؤلفنا- أعني توماس أرنولد- في هذا الخصوص.

وحيث أن الثابت، خلال حكم الأمويين، لقي زيد بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي رضي الله عنه، وأتباعه، على يد يوسف بن عمر، أمير الكوفة في عهد الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك 105-125هـ/743-725م، الكثير من التنكيل والتضييق، جراء خروجهم عن السلطة السياسية؛ مما دعا إلى قيام هجرة جماعة من الزيدية إلى مقديشو، وأسسوا حكما خاصا بهم، ناشرين الإسلام، وآراء الزيدية العلوية (غنيم، 1980، صفحة 64). ونفس الرأي، يذهب إليه توماس أرنولد، الذي اعتبر الاختلاف الديني بسبب تشيعهم، كان أحد أسباب نفيهم من قبل بن أمية. في غضون ذلك، يضيف أنه لما مات زيد بن علي زين العابدين، الذي يكون أحد أحفاد علي ابن عم محمد عليه السلام، ادعى في عهد الخليفة هشام، أنه الإمام المهدي، وأشعل نار الثورة بين حزب الشيعة، ولكنه هزم، وقتل سنة 122هـ840م، لكن هذا القول مبالغ فيه. يه. (أرنولد، 1947، صفحة 286)

في سياق آخر، يذهب أرنولد إلى الصعوبة التي وجدها هؤلاء المهاجرين في أرض الهجرة، قبل أن يتمكنوا من الامتزاج مع السكان الأصليين، ولكنها نجحت بالتدريج في بسط مواطنها على طول الساحل، حتى جاءتها جماعة أخرى من المهاجرين، الذين قدموا من الشاطئ العربي للخليج الفارسي (أرنولد، 1947، صفحة 287).

لتوضيح ذلك، أن كلا من بلاد البحرين أو الإحساء، سكنتها قبائل عربية، أثناء عملية الفتوح الإسلامية للأمصار، خلال القرن الأول الهجري. وكان غالبها من بني شيبان من بني بكر بن وائل، التي تنتسب لقبيلة ربيعة وكان موطنها الأساسي بلاد الحجاز. وفي هذا قال أرنولد: أن هؤلاء الإخوة جاؤوا من مكان لا يبعد عن جزيرة البحرين، في ثلاث سفن، بزعامة سبعة إخوة هاربين من اضطهاد ملك الإحساء، ويبدو أن هذه الجماعة كانت سنية المذهب؛ حيث أبوا الخضوع لحكام مقديشو، وفروا إلى الداخل؛ حيث اندمجوا في السكان الأصليين، وتزاوجوا معهم، ويقصد هنا فرار الشيعة إلى الداخل، وبقاء أهل السنة على الساحل (أرنولد، 1947، صفحة 287)

وناهيك عن ذلك، يفيد أنه بتأسيس سلطنة مقديشو، الذي كان في القرن الرابع الهجري (10م)، ظلت أقوى مدينة على الساحل زهاء سبعين سنة، وبعد ذلك، قدم مهاجرون آخرون من الخليج الفارسي، قاموا بإنشاء وطن آخر، ينافسها من ناحية الجنوب، وكان زعيم هؤلاء المهاجرين، يدعى عليا، وهو أحد الأبناء السبعة لأحد سلاطين شيراز-ويدعى حسنا-، ولما كانت أمه حبشية، تعرض لازدراء من إخوته، وعاملوه معاملة قاسية، جعلتهم يفكرون في الهجرة (أرنولد، 1947، صفحة 287). هذه الرواية ترويها لنا جميع الكتابات الاستشراقية. ويبدو أنهم تناقلوها، من كتاب "**السلوة في أخبار كلوة**"، وهذا الكتاب في حد ذاته كتبه كاتب محلي، لا ندري في أي فترة كتبه؟ وهل اتسم صاحبه بالأمانة العلمية؟

كما أنه يمكننا أن نطرح تساؤلا آخر، إذا كان جماعة من أهل شيراز، هم من أسسوا كلوة، حسب جميع الروايات التاريخية، فما الذي يفسر، فيما بعد، الصراع على الحكم في كلوة، بين الفرس وجماعة بن عبد القيس، أحد بطون قبيلة ربيعة؟ وبالتحديد أثناء اندلاع ثورة الزنج، ضد دولة بني العباس في المشرق الإسلامي.

لعل شهادة ابن بطوطة، التي كانت في القرن الثامن الهجري (14م)، تجيب عن جزئية من هذا التساؤل. فيقول أنه لما كان في زيارة سلطان كُلْوة، جاءه شرفاء من العراق والحجاز، أعطى لهم خمس خراج الأرض، كما

أنه رأى عنده من شرفاء الحجاز، جماعة منهم " محمد بن جماز"، و" منصور بن لبيدة ابن أبي نمي "، و" محمد بن شميلة ابن أبي نمي" (ابن بطوطة، 1987، صفحة 266). وبالتالي، يمكننا القول، أن وجود أهالي الحجاز بهذه الصفة والمكانة المرموقة، يسبقه وجود سابق لجاليات حجازية، جاءت مع الهجرات العربية، التي وطأت المنطقة خلال العصر الإسلامي، كما أنه في هذه الفترة، كان مركز الدولة الإسلامية في المشرق، هو بغداد، فوجود شرفاء بغداديين مع شرفاء حجازيين في كلوة، يعني التبعية الإسمية للبلاد الإسلامية. وإن كانت المصادر العربية صمتت عن ذكر ذلك.

وما قاله أرنولد عن هذه الجماعة الشيرازية، وأن الزعيم الشيرازي تجنب البقاء مع مهاجري أهل مقديشو، لأنهم كانوا يختلفون عن جماعته من حيث المذهب، يدعونا للشك أيضا. وهذا الزعيم كان معه جماعة وأتباع (أرنولد ، 1947، صفحة 287)، ربما هؤلاء الأتباع، هم بطن بن عبد القيس، باعتبار تحالفهم مع الفرس في فترات سابقة.

وبعد استيطان الزعيم الشيرازي وأتباعه، في سلطنة كلوة بعد تأسيسها، يروي أرنولد أنه انتشر الإسلام في بلاد الساحل أكثر من ذي قبل، وظهرت العديد من المدن والإمارات الاسلامية، كما شارك في هذه العملية حتى الزعماء المحليون للقبائل الافريقية الوثنية، ورجع في التدليل بقوله إلى وثيقة تاريخية تعود للقرن الرابع الهجري(10م) (أرنولد، 1947، صفحة 287). وحسب رأيي، أن هذه الوثيقة تكون من ضمن الوثائق التي استولى عليها البرتغاليون، أثناء غزوهم لسلطنة كلوة، ونهب جميع مخطوطاتها العربية، لمحو آثارها العربية–الإسلامية.

ربما يجيبنا توماس أرنولد عن سؤالنا هذا، بوصف الوجود البرتغالي سببا في تدهور الأوضاع بإمارات الساحل؛ وذلك لما أشار أن بعد تدهور هذا الكيان الحاقد على الإسلام والمسلمين، زاد انتشار الإسلام (أرنولد، 1947، صفحة 288).

ب: تأسيس ممالك الطراز الإسلامي في الحبشة: ذكرت المصادر الجغرافية العربية، أن بلاد الحبشة حوت سبع ممالك، وهذه الممالك جليلة المقدار عظيمة، متسعة الأرجاء فسيحة الجوانب، بها أقاليم كثيرة العدد، مجهولة الأسماء غير مشهورة ولا معلومة؛ ثم هم على قسمين: القسم الأول البلاد النصرانية، وهو القسم الأوفر عددا، والأوسع مجالا، وهو الذي يملكه ملك الدولة السليمانية النصرانية (القلقشندي ، 1915، الصفحات 302–303)، وبسبب الهجرات العربية المتتالية عبر البحر الأحمر، وعمليات الزواج والمصاهرة التي تمت بين العرب المسلمين، وشعوب هذه البلاد؛ بدأت تتكون أولى بذرات هذه الممالك، كالطراز على الساحل (غنيم، 1980، صفحة 74)، وأسماؤها، هي: أوفات، ودورا، وأرابيني، وهدية، وشرخا، وبالي، ودارة (العومري، 2002، صفحة 240)

وتماشيا مع ذلك، أفادت الدراسات العربية الحديثة المهتمة بالكتابات الاستشراقية، أن أول وثيقة تاريخية تحدثت لنا عن تاريخ سلطنة "بي مخزوم" بالحبشة، هي التي عثر عليها المستشرق الإيطالي "تشيرولي"، و قام

بنشرها في مجلة الدراسات الأثيوبية، في العدد الأول من سنة 1914م بروما، وهي من الدلائل التاريخية الهامة، على تعاقب الهجرات في العصر الراشدي؛ لأن هذه الوثيقة تشير أن التاجر "**ود بن هشام المخزومي**"، كان من بين المهاجرين المسلمين الأوائل إلى ساحل شرق إفريقيا، زمن الخليفة عمر بن الخطاب، وقد استقر بمن معه في الحبشة، وامتد سلطانه إلى مقديشو، ومدن أخرى من الساحل، وكان لذريته –أمراء بني مخزوم– مكانة مرموقة، حين حكموا إقليم شوا جنوب هضبة الحبشة، فترة من الزمن، بلغت 272 سنة –من 175 م إلى 8419 م– . بيد أن هذه الوثيقة، لا تعرض إلا المرحلة الأخيرة من مرحلة اضمحلال إمارة بي مخزوم (سكيب شعبان، 2013، صفحة 314).

وهو نفس المَعْلَمْ، الذي ذهب إليه المستشرق توماس أرنولد، بيد أنه تحدث لنا، بشيء قليل، عن بداية انتشار الإسلام في الحبشة، والذي تمثل في وفود الدعاة والتجار، وكان أحدهم يسمى "**أبو عبد الله محمد**"، الذي كان من أهم الدعاة إلى دين الإسلام، ومبلغا إياهم رسالة النبي محمد صلى الله عليه وسلم إلى الناس كافة، وارتقى به ذلك أن جمع حوله حوالي مائتي ألف (20000) شخص مؤيد للدين الحنيف. أما عن ظهور ممالك الطراز الإسلامي، فيقول عنها، أنه في القرن الرابع الهجري (10م)، لم تكن إلا أسر قليلة تقيم على ساحل الحبشة، لكن في القرن السادس الهجري (12م)، تم تأسيس دولة عربية أخرى، وبزعاماتها تم فصل الممالك الإسلامية عن مملكة الأسرة السليمانية النصرانية في بلاد الحبشة (أرنولد، 1947، صفحة 36)

أما باقي حديثه عن ممالك الطراز الإسلامي، فكله أحداث جاءت في فترات تاريخية متأخرة، لما أصبحت تعيش هذه الممالك مرحلة اضمحلال، ولمجة طيبة في يد أطماع الأسرة السليمانية النصرانية. وبمقتضى الحال أضحت تؤدي لها الجزية، وتضيق على مجتمعها في أداء شعائره الدينية، كما فرضت عليه التنصير الإجباري. وما نقله لنا توماس أرنولد بخصوص هذا، أنه في سنة 1531م، كتب أحد الذين تم تنصيرهم، إلى أحمد جراني كتابا: "**أنا أول مسلم، وابن مسلم، وأسروني المشركون ونصروني، وإن قلبي مطمئن بالإيمان. والآن، أنا جار الله، وجار رسوله، وجارك، أن تقبل توبتي، ولا تؤاخذني بما عملته، فأنا تائب إلى الله، وهذه جيوش الملك الذين هم معي، أنا احتال عليهم، حتى يدخلوا عندك ويسلموا...**". ويقال أنه أسلم منهم حوالي عشرون ألفا؛ وهذا ما يحسب لتوماس أرنولد أنه قدم لنا معلومات مفيدة، حول القائد "المسلم أحمد بن إبراهيم الجراني"، وهو في جهاد ضد السليمانيون من جهة، والبرتغاليين من جهة ثانية؛ هؤلاء المحالفين لبعضهم البعض، ضد ممالك الطراز الإسلامي في الحبشة (أرنولد، 1947، الصفحات 103–104) . وفي هذه المرحلة بالذات كان المبشرون في شرق إفريقيا، ينظرون إلى الإسلام باعتباره تقليدا حيويا هائلا، ومتناميا باستمرار، ساهم في ضبط سلوكيات هؤلاء المسلمين(**Martyn**، 2011، صفحة 1).

ج: إسلام قبائل البجة الوثنية، وسقوط ممالك النوبة المسيحية (أدى إلى قيام سلطنة الفونج): مثلت بلاد البجة الواقعة في الصحراء الشرقية للسودان، معبرا للهجرات العربية، منذ آماد بعيدة، وحتى عصر الفترات الإسلامية، كانت هذه القبائل همزة وصل بين مسلمي الحبشة والسودان ومصر (غنيم، 1980، صفحة 74). وحسب رأي

"نعوم شقير"، هي تنضوي ضمن مملكة بني عامر، الذين ذكر أنهم جاؤوا من الحجاز، فملكوا البجة والخاس–أظن يقصد الخاسة–، ثم جاءت النابتات أولاد نابت من الجعليين، فملكوهم ولغتهم العربية (شقير، 1981، الصفحات 134–135)، والجعلين حسب" عبد الرحمان زكي" هم قبيلة جاءت من النيل، وهم تجار، يعرفون بالجلابة (زكي، 1328، صفحة 106). ويفيد أرنولد أنه كان لقبائل البجة علاقات مع الحجازيين، ومع من جاورهم، كما خضعوا لحكم بني عامر، لكن يبدو أنه نسي أو أخطأ، لكنه أكد على اندماجهم مع المجتمع الفونجي، حين مدت هذه المملكة فتوحاتها الإسلامية عليهم بين سنتي(1499–1530م)، ووصلت إلى حدود بلاد النوبة والحبشة، وأسسوا سلطنة سنار (أرنولد، 1947، صفحة 101)، التي بتأسيسها تقلص النفوذ المسيحي في شلالات وادي النيل بين الشلال الأول والسادس، بالإضافة إلى ذلك أدى حكام الأيوبيين والمماليك دورا مميزا في توسيع نفوذ الإسلام (**Henriette**، 2019، صفحة 67)

ولا يفوتنا أن ننوه، أنه بعد سقوط مملكة مروى الوثنية، اشتهرت مملكتي النوبة: علوة، والمقرة، باعتناقهما للمسيحية في القرن السادس الميلادي. ويؤخذ مما كتبه المؤرخون العرب أنه كان للنوبة في عهد النصرانية مملكتان قويتان: مملكة النوبة السفلى، وامتدت من الشلال الأول إلى الشلال الرابع، وكانت عاصمتها دنقلة العجوز؛ ومملكة النوبة العليا، وعرفت –أيضا– بمملكة علوة، وامتدت من الشلال الرابع إلى السادس، وكانت عاصمتها سوبا (شقير، 1981، صفحة 55). ويرجع سقوط مملكة دنقلة حسب تأويل "ترمنجهام" إلى القرن الثامن الهجري (14م)؛ بسبب الاندفاع العربي صوب الجنوب، ليعود مرة أخرى، ويعلل أن القبائل العربية المهاجرة، نادرا ما يوجد بها قبيلة قوية لتهاجم المملكة. ومرة أخرى، نراه متناقضا في قوله، لما رصد جهاد القبائل العربية في محاولة قضائهم على مملكة سوبا المسيحية، واصفا هؤلاء العرب، بأنهم اشتغلوا بالرعي، متنقلين معهم صوب الداخل في عام 1474م، لينتج بعده، ظهور جالية إسلامية، تتحدث اللغة العربية، قامت بتوسيع مدينة " أربجي"، وتحكمت فيها (ترمنجهام، 2001، صفحة 80).

ويبقى تشكيك "ترمنجهام" كغيره من المستشرقين، في صلة العرب مع السكان المحليين، في اعتباره أن التحالف الفونجي العبدلابي، أي عرب القواسمة مع الفونج المحليين، ربما هو حدث غير مقبول لأنه أتى فجأة. ويؤكد هذا الرأي بآراء مستشرقين آخرين، كما يذكر الكثير من المغالطات، لما أورد العلاقة السياسية بين عمارة دنقس، ملك الفونج، مع عبد الله جماع، مؤسس مملكة العبدلاب، الذي تولى حكم كل القبائل في وادي النيل (ترمنجهام، 2001، صفحة 80).

إلى حد كبير ينفي "أرنولد" آراء "ترمنجهام"، ويورد أن سبب تحول النوبيين إلى المسيحية، كان حوالي منتصف القرن السادس الميلادي، واعتبر دخول الإسلام، وعلاقتهم مع العرب بعد هذه الفترة، بمثابة استرداد لاستقلالهم (أرنولد، 1947، صفحة 99). وفي هذا إشارة واضحة، أن المسيحية فرضت عليهم عنوة.

ونتيجة لذلك زاد استقرار العرب في النوبة بشكل مستمر، تابعين آثار هجرات سابقيهم، الذين استقروا في وادي النيل لقرون سابقة، وهناك زادت ثروتهم زيادة كبيرة في الرابع الهجري(10م)، حتى استطاعوا أن يلتمسوا الإذن ببناء مسجد، في سوبا، عاصمة المملكة المسيحية (أرنولد، 1947، صفحة 98). وهذا يعني أن القبائل المهاجرة كانت تتمتع بمكانة اجتماعية مرموقة عند سلاطين سوبا المسيحية؛ مما ينفي قول "ترمنجهام" سابق الذّكر. بالتالي، كان من المتوقع الدخول السلمي للإسلام، وتسرب القبائل من كل الجهات، قوية، محدثة فيما بعد مؤثرات إسلامية، ويرجع أكبر الفضل في ذلك إلى جهود الدعاة المسلمين، الذين نشطوا في مجال الدعوة منذ القرون الأولى للإسلام، وبين القرنين (7–8هـ/13–14م) حدث اندماج اجتماعي بين النوبيين وقبيلة جهينة، مما كسر شوكة الأمراء النوبيين (أرنولد، 1947، صفحة 100).

ونافلة القول، مشكل بقاء المسيحية في مملكة سوبا يعلله" **توماس أرنولد**"، أنه كان في الجهة الجنوبية من المملكة بشكل خاص، وملك سوبا دخل الإسلام في عهد الناصر محمد بن قلاوون، والصراع الدائر في هذه الفترة كان في محاولة نشر الإسلام في الجهة الجنوبية صوب التواجد المسيحي، وليس ضد القبائل العربية، التي كسبت ود السلطة الحاكمة في هذه الفترة، رغم ذلك كان تحول النوبيين بطيئا جدا، بعد انحدار كنيستهم (أرنولد ، 1947، صفحة 102)

د: تأسيس سلطنة دارفور الإسلامية: قامت سلطنة دارفور الإسلامية، هي الأخرى، عن طريق الهجرات العربية، وإن اختلفت مسالك قدومها من الشمال الإفريقي أو من البحر الأحمر؛ لكن كلها اتفقت أن قيامها كان خاضعا لمؤثرات القبائل الحجازية التي ربطت علاقاتها مع سلطة دارفور، واحتدم النقاش –أيضا– عن موطن قدوم الداعية الإسلامي، الذي تجمعت حوله القبائل العربية: هل من مصر؟ أو الحجاز؟ أم تونس؟ ويصف "نعوم شقير" أحوال المجتمع الدارفوري، بأنه كان يحوي قبائل شتى، كلها تخضع لحكم سلاطين البلاد، وهناك رواية أنه في القرن الثامن الهجري(14م)، قدم أحمد المعقور، وقد لقي حفاوة عظيمة من ملك دارفور الوثني، الذي تعلق به؛ فجعله مشرفا على شؤون بيته، واستشاره في كل المناسبات. فلا يستبعد إذن، أن يكون سلطان دارفور، في ذلك الحين، أعجب بنجابته وعراقته في النسب، فقام بتزويجه ابنته، التي أنجبت حفيده سليمان، والذي نقل هذه المملكة من الوثنية إلى الشريعة الإسلامية (شقير، 1981، الصفحات 151–172).

ومما لا يدع مجالا للشك، اتفقت جميع المستندات الكتابية، والمرويات الشفاهية، أن أول سلطان لهذه المملكة، كان السلطان سليمان الأول (848–880هـ/–1445–1476م)، الذي قام ببناء مساجد للعبادة، وأقر صلاة الجمعة والجماعة، ثم شرع في ضم كلمة المسلمين، واستعان بعرب البادية المنتشرين في البلاد، ليكون بعده حكما وراثيا من سلالته(شقير، 1981، صفحة 152).

2.4. المؤثرات الاجتماعية في مجتمع شرق إفريقيا:

أ: المصاهرات الاجتماعية وإشكالية النسب العربي: إذا اعتبرنا موضوع الأنساب من أبرز معالم الثقافة العربية، فلا يجب إهمال تكريم الإسلام للعلاقات الاجتماعية مع الشعوب المهاجرة، بل يجب صون كرامتهم، وعدم استغلال

ضعفهم، بل وتكريم مضيفيهم (كيداوي، فمور، وآخرون، 2014، صفحة 11). ربما يكون هذا المنظور، قد تواجد في سلطنة دارفور، وما لقيه المهاجر "أحمد المعقور" من ضيافة وكرم من الملك الوثني، الذي جعله مستشارا له، وتمكن بذلك من إدخال إصلاحات على كل الشؤون الاقتصادية والسياسية، ويقال أنه أخضع لسياسته الزعماء المتمردين، وقسم الأراضي بين فقراء السكان، ليضع حدا للغارات الداخلية. وكان نتاج الحضارة التي أحدثها ابن هذا الزعيم وذريته، قد اقترن بنشر تعاليم الدعوة الإسلامية (أرنولد، 1947، صفحة 173). ومملكة كردفان، المجاورة لدارفور، ظهرت فيها، هي الأخرى، جماعة تتفاخر بانحدارها من العرب المهاجرين، أثناء سقوط الفاطميين بمصر (أرنولد ، 1947، صفحة 171)، بالإضافة إلى ذلك، ظهرت في الصومال مجموعات عشائرية، تقول أنها تنحدر من أصل عربي، وهو راجع إلى الهجرات الوافدة؛ حيث تزوج أحد مسلمي العرب من بناتهم، وتناسلت السلالة العربية في المنطقة، ليفيدنا الكاتب، بأن هذا الادعاء العائد للنسب العربي، محله الخضوع للنظام الإسلامي، الناتج عن تدفق الدم العربي(**Christine Choi**، 1986، صفحة 98). وفضلا عن ذلك، بتزاوج أولاد الكنز (وهم أمراء ربيعة) مع النوبيين، تمتعوا بنفوذ قوي، وأصبحوا أصحاب أراضي مملكة، ضمن ملكياتهم الخاصة (**Henriette**، 2019، صفحة 74).

وتأكيدا لذلك، فإن هناك بحثا قام به "محمد مصطفى النور"، المعنون بـ "استخدام الروايات الشفوية كالمصدر، لكتابة التاريخ السوداني: رواية الغريب الحكيم أنموذجا"، وذكر فيه أن المستشرق "سبنسر ترمنجهام" يعتبر أن بداية التوريث الأمومي الذي اتخذته الهجرات العربية، لم يكن في هذه الفترة فقط، وإنما كان معمولا به في ممالك النوبة المسيحية، قبل الإسلام، وبالتالي لا يوجد أي أساس "لأسطورة الغريب الحكيم"، ويبقى ينفي "ترمنجهام" قضية المصاهرات الاجتماعية بين القبائل العربية مع نظرائهم من الأفارقة، ويعلّل ذلك بعودته لوثائق دونها المستشرق "وليام آدامز" عن النوبة في العصور الوسطى (محمد النور، د.ت، صفحة 9)، ليقول أن قبائل البجة عربية، تحمل زيجات عربية، وكانت لهم علاقة مع القبائل البدوية، لكنهم يتخذون شجرة نسب مزيفة، بالرغم من إسلامهم، المحافظ على لغتهم، ومميزاتهم السلالية. ربما هذا صحيح؟ وكان الهدف من اتحاذ النسب العربي، لأسباب معينة بعد فترة العصر الوسيط (ترمنجهام، 2001، صفحة 27). وبغض النظر عن ذلك، تعد مشكلة حفظ القبائل العربية المهاجرة لأنسابها، تمييزا عنصريا لهم عن الشعوب الافريقية، الذين اختلطوا بهم، وامتزجوا معهم، وتبنوا صفاتهم، إلا أن ادعاءهم باللقب العربي، يتفاوت بشكل كبير (ترمنجهام، 2001، صفحة 27).

أما قضية النسب العربي في سلطنة سنار(الفونج)، فهي الأخرى، كان لها نصيب من هذا الجانب. فهناك من الكتابات من ترجح أنهم من بني أمية، لكن نعوم شقير يرفض ذلك، ويعتبر أن كل القبائل التي اشتهرت في السودان، قامت بادعاء نسب شريف لنفسها، ولعل الفونج لم يخرجوا عن هذا الحكم؛ والأقرب إلى الصواب أنهم قوم

(خلاسيون)، أي خليط من كبراء العرب وملوك الفونج السود، وسبب تسمية المملكة بسنار؛ راجع إلى جارية اسمها سنار، اختطت عاصمة المملكة بمكانها، فاتخذت اسم هذه الجارية (شقير، 1981، صفحة 98)،

ومن القبائل الإفريقية التي انتشرت في منطقة القرن الإفريقي، وامتزجت مع العرب مصاهرتا واندماجا: الهدندوة، والبني عامر، والنوبيون الذين يدعون الأصل الجعلي، وباستخدام النظام الأمومي تم امتصاص كل ذلك، بالتحول التدريجي نحو الإسلام. لكن هذا القول يعيد "ترمنجهام" تفنيده، بحجج واهية، لا أساس لها من الصحة، بتشكيكه في كتابات المسعودي، وغيره من المؤرخين العرب حول هذه القضية (ترمنجهام، 2001، الصفحات 22–72).

ونراه ينعت انتشار الإسلام، بأنه خسارة فادحة للكنيسة النوبية، وتطبيق الحدود الشرعية على من بقي على الوثنية، أو المسيحية، يسميه تمييزا اجتماعيا معتادا، لا يمكن القضاء عليه، إلا باعتناق الدين الإسلامي، والتزاوج مع القبائل العربية (ترمنجهام، 2001، صفحة 85). وعلى غرار ذلك، فإن الدلائل التاريخية، والبقايا الأثرية في النوبة السفلى، لازالت دليلا على عملية الإسلام المبكر في المنطقة (**Henriette**، 2019، صفحة 73).

ب: العادات والتقاليد العربية في شرق إفريقيا: كثير من الأبحاث الاستشراقية، أفادت بين دفتيها، تواجد المؤثرات الإسلامية في ساحل شرق إفريقيا، والتي انتشرت قبل الهجرات الموسعة؛ ودليل ذلك، تطور الثقافة السواحلية التي أضحت ثقافة متميزة، وظهرت معالمها على سلوكيات المجتمع الافريقي (**Nehemia . Pouwels** ، د.ت، صفحة 7)، عن طريق الاحتكاك مع المهاجرين. ومن التأثيرات التي مست الجانب الزراعي، تنظيمهم لطرق السقي والري، أما ما يهمنا أكثر هو أنماط العادات والتقاليد العربية في معالم حياة المجتمع الإفريقي، وفي ذلك يفيد "ترمنجهام" رغم أنه مبشر، أن قبيلة "الرشايدة" لا يمكن تمييزها عن القبيلة العربية، وتحتفظ بلغتها وزيها العربي، وترفض الخضوع لشيخ مشترك، ولكل قبيلة دائرة رعي معترف بها إلى جانب امتلاكها أماكن مياه، بمعنى على كل قبيلة التقيد بمناطق حماها الخاصة. كما وصف التنظيم الاجتماعي ببعده عن الدقة والتنظيم، والقبيلة العربية الخالصة في نظره، هي الكبابيش، ومن عادات غالب هؤلاء البدو، اقتناء ملابسهم، وأدوات زينتهم، وعطورهم من الأسواق (ترمنجهام، 2001، الصفحات 19–72).

على الرغم من حياد "ترمنجهام" عن جادة الصواب، في الكثير من المرات، خلال تقديمه للحقيقة التاريخية، إلا أنه في بعض الأحيان، يقدم وصفا يتقبله العقل إلى حد ما، ومن ذلك، ما نقله لنا عن الأطعمة والأشربة، التي انتشرت مع المهاجرين، فنجد أن الشاي، مثلا، انتظم شربه وقت الفطور، ويأتي الغذاء في منتصف النهار، ويتكون من كسرة تقطع، وتغمس في صحن به ملاح، أما الوجبة الأخيرة، وهي العشاء، فتمثل بالنسبة لهم غذاء كاملا، كما

اشتهروا بصنع مشروب المريسة، أما اللّحم فأضحى يأكل في مناسبات محدودة، عند قدوم ضيف، أو في وليمة. وعن الشعائر الإسلامية التي أضحت منتشرة في المجتمع يصف ذلك "ترمنجهام" بقوله: أن بعض نساء الهدندوة المستقرات غيورات على دينهم، ويؤدين الصلوات والصوم بشكل صارم، وكانت هناك خلاوي للنساء، وتستخدم زوايا للنساء في سواكن؛ حيث ينشدن أناشيد الختمية بعد صلاة الجمعة (ترمنجهام ، 2001، الصفحات

24–30). وهذا الأمر ليس مدعاة للغرابة؛ خاصة إذا علمنا أن سواكن وما جاوراها، هي مناطق حراك إسلامي زخم، تمثل أوله في مرور الحجيج إلى الحجاز، وثانيه في تبادل السلع التجارية مع أقاليم شبه الجزيرة العربية.

ج: إنتشار اللّسان العربي: أفاد العديد من علماء الأنساب، وفي مقدمتهم "**الألوسي أحمد شكري**"، أن العرب جيل من الناس لم يزالوا موسومين بين الأمم بالبيان في الكلام، والفصاحة في المنطق، والذلاقة في اللّسان، ولذلك سموا بهذا الاسم، فإنه مشتق من الإبانة، لقولهم: أعرب الرجل عما في ضميره، إذ أبان عنه (شكري الألوسي ، د.ت، صفحة 8).

وبذلك كان انتشار التعريب العربي في نظر المستشرقين بطريقتين: الأولى لغوية وثقافية، اكتسب بها المجتمع الإفريقي اللغة العربية، ومفاهيم الثقافة العربية–الإسلامية، أما الطريقة الثانية، فهي عرقية، أي الاندماج الاجتماعي. وكان التعريب الثقافي للمجتمع أكثر عمقا، لأنه متصل بإسلامهم، أما تعريبهم فتمثل في مزج صفات العروبة فيهم (ترمنجهام، 2001، صفحة 88). ومن الشعوب الإفريقية التي تتحدث باللّغة العربية: آل الكنز (خليط من البجة وقبيلة ربيعة الحجازية)، والبشاريين الذين يعود أصلهم إلى "بشر بن مروان بن إسحاق"، وغالب أهل البجة يتحدثون اللغة التبداوية، أما في الحبشة فتنتشر اللغة الجعزية إلى جانب العربية (ترمنجهام، 2001، الصفحات 16–87)، كما دخلت بعض اللّهجات اللّغوية التي هي ليست عربية فصيحة، مع القبائل البدوية، وامتدت على نطاق واسع (**Slyomovics**، 2019، صفحة 4).

3.4. المؤثرات العلمية والثقافية: تغلغلت الثقافة العربية ودين الإسلام، في تقاليد وعادات جنوب الصحراء الإفريقية، بقرون قبل وفود الغربيين لاكتشاف القارة، لكن أدرك أولئك المستشرقون، أن دراسة هذه الأنماط الثقافية، ستكون وفق منهجهم الإيديولوجي، ورؤيتهم الخاصة (**Hester**، 2008، صفحة 87).

أ: الحركة الأدبية للقبائل الوافدة: إن عملية التغيير التي أحدثها الإسلام على المجتمع الافريقي في جميع الجوانب الحضارية، أرغم هؤلاء المستشرقين على خوض نقاشات احتدمت فيما بينهم، وتناول ذلك وفق الخصوصية المتعلقة بالمجتمع الافريقي، بعيدا عن خصوصيات المجتمعات الإسلامية الأخرى(**vilhanova**، 2010، صفحة 135)، واجتمعت مواضيعها بين الاهتمام بالثقافة، والآداب، وعادات وتقاليد الشعوب، إذ جزؤوا معالم الدين الإسلامي في إفريقيا جنوب الصحراء، إلى دين القرآن، ودين العلماء، ودين الدهماء (الحمد، 1992، الصفحات 521–538).

وفي نفس الصدد، هناك عبارة قالها "توماس أرنولد"، تمتاز بالقيمة والحيوية، وهي: أن مسلمي الحبشة نالوا التفوق الأدبي على المجتمع المسيحي، والتزم كل مسلم منهم بتعليم أبنائه القراءة والكتابة (أرنولد ، 1947، صفحة 105). وبخصوص الثقافة السواحلية، يقول البعض أنها تسبق تاريخ أسلمة الساحل السواحلي، لكن آخرون، يقولون أن تواجدها صاحب قيام المستوطنات الإسلامية على الساحل (**Valerie J**، 2023، صفحة 39)، كما كان حكام سلطنة الفونج الإسلامية يشجعون العلماء من البلاد الإسلامية المشرقية على زيارة مملكتهم، والإقامة فيها، لنشر

الدين الإسلامي الذي وصل إشعاعه إلى أواخر منابع نهر النيل (ترمنجهام، 2001، صفحة 77). واستخلاصا لما سبق كانت اللغة العربية، عند وصول ابن بطوطة إلى الساحل الإفريقي، لغة مشتركة في شرق إفريقيا، بين المحلي والوافد، ودليل ذلك أنها استخدمت في التعليم، والتجارة، والتواصل في جميع أنحاء المحيط الهندي؛ وهكذا يبدو أن الإسلام وصل مبكرا إلى شرق إفريقيا عن طريق التجار، لكن تمركزه المكثف كان في المناطق الحضرية (**Yusuf Lodhi**، 1964، صفحة 87).

ب: الصلات الثقافية لممالك شرق إفريقيا مع المشرق الإسلامي: مثلت معاهدة "البقط" نموذجا فريدا في التواصل الحضاري، الذي نص على احترام حقوق التدين في المجتمعات، ونجد "ترمنجهام" يصف هذه المعاهدة، "**بأنها شقية جدا**"، لوضعها شرطا ببناء مسجد في دولة غير مسلمة، لكن المعاهدة نصت على حماية المسجد؛ حيث بقيت هذه المعاهدة سارية المفعول لمدة ستمائة سنة حتى العهد الفاطمي، وقد يكون السبب أنها معاهدة للتسامح الديني المشترك، واتفاق تجاري، أكثر منه إتاوة وسيادة. وبغض النظر عن ذلك، نراه يلقي اللّوم على معاهدة "البقط"، التي اتسمت بطلب الرقيق من المجتمع النوبي، لكنه لا يدري أن ذلك الرقيق، كان يعتق بدخوله للإسلام، ويعاد إلى بلده مشبعا بالثقافة العربية–الإسلامية (ترمنجهام ، 2001، الصفحات 69–70) . وهو ما تؤكده إحدى الكتابات التاريخية، التي تحدثت عن أن تجارة الرقيق أدخلت، للمرة الأولى، الثقافة العربية كهيكل اجتماعي، واقتصادي، وسياسي جديد، في شرق إفريقيا، وأن السكان تقبلوا هذه الثقافة(**Rashid**، 2015، صفحة 64).

تمكنت هذه القبائل العربية المهاجرة من نشر اللغة العربية والثقافة الإسلامية، والأكثر من ذلك أنها غيرت اتجاه البلاد السياسي، والفكري، والاجتماعي، وربطته بالعالم الإسلامي (رزق الله، د.ت، صفحة 115)، وتمثل رسالة عمارة دنقس إلى السلطان العثماني سليم الأول التي حملت كتاب الأنساب الذي كتبه السمرقندي، أحسن وثيقة عن التواصل العربي الإسلامي؛ حيث يقول في هذا نعوم شقير، بأنه سمع بهذه النسخة، ولما بحث عنها هناك، لم يجد لها أثرا (شقير، 1981، الصفحات 100–101). ومن نماذج الصلات الثقافية الأخرى، نجد تسرب العلماء والطرق الصوفية من المشرق الإسلامي ومصر إلى المجتمع الإفريقي، كما حظيت العائلات العربية شريفة النسب، بمكانة مرموقة من قبل العلماء، وحتى السلطة الحاكمة، كما انتقلت مظاهر العمارة الدينية، مثل: القباب ومزارات الأولياء المتصوفين (شقير، 1981، صفحة 102).

ج: مسألة الإسلام الأسود في نظر المستشرقين: نحن نعلم أن مسلمي شرق إفريقيا، أو إفريقيا جنوب الصحراء، عندما دخل إليهم الإسلام، كانوا حديثي العهد به؛ فطبقته فئة على أكمل وجه، بينما طبقت فئة أخرى شرائعه، لكنها أخلطت بين عاداتها وثقافتها المتأصلة فيها. وهذه النقطة بالذات، استغلها المستشرقون، وسموها بالإسلام الأسود. وتظهر هذه المظاهر، من خلال اعتبارهم تجويد القرآن الكريم من الطقوس السحرية، كما تنتشر عندهم عبادة الأرواحية التي تسكن الحيات، والأحجار، والأشجار، ويقدمون لها القرابين(ترمنجهام ، 2001، الصفحات 40–84)، لكن المستشرقة "سوزان سلوموفيكس" عبرت عن قراءة القرآن الكريم وتلاوته، بنوع من الإعجاب والاستغراب، واعتبرت ذلك عزفا موسيقيا يميز القارئ المحترف عن غيره (**Slyomovics**، 2016، صفحة 31)، كما اعتبر

"ترمنجهام" جميع العادات الاجتماعية الموجودة في مجتمع بلاد الحبشة، ومنها الاجتماعي: كاللّقاء يوم الجمعة في المقابر، وزيارة أضرحة الأولياء في المناسبات، أنها عادات لا علاقة لها بالدين القويم، وعقيدتها مبنية على الخرافات والفلكلور، ولا تصبح حيوية، إلا عندما ترتقي إلى التسبيح، وصوم رمضان، والذهاب إلى الحج (ترمنجهام ، 2001، الصفحات 32-84). وترجع النظرة السيئة عن الإسلام والمسلمين من قبل المستشرقين، إلى عامل توارث الدين من الآباء، والروايات الخاطئة عن الإسلام، وكذا رجال الدين في الكنيسة (**Br Sebayang** . **Agama Kem**، صفحة 62).

يبدو في هذا الباب، أن توماس أرنولد قد أخطأ في نقل معلوماته، أو كان متعمدا، إذ يقول: أنه حفظ لنا قسيس برتغالي تنقل في بلاد الحبشة، بين سنتي 1550-1527م، صورة عن النوبيين، بأنهم لم يكونوا نصارى، ولا يهود، ولا مسلمين، ولكنهم أصبحوا لا يدينون بدين معين؛ ويبدو التناقض واضحا، لأنه أخلط بين بلاد الحبشة وبلاد النوبة، فمسلمي الحبشة، هم الذين فرض عليهم التنصير من قبل نصارى الحبشة، الذين كانوا يطلبون المطران من الإسكندرية، وليس المسلمين، كما قال (أرنولد ، 1947، صفحة 100). ويأخذ "ترمنجهام "حوارا جداليا بين الإسلام والمسيحية، ويعتبر دخول الإسلام سببا في زوال الثقافة النوبية، وأن الدعوة الإسلامية لم ترتق لذاك التأثير، بل كان التجار دعاة عاديين. ورغم ذلك بقيت المسيحية كدين للدولة، ولو بقيت الكنيسة، مثل كنيسة الحبشة، لكان مصير البدو عدم التوغل(ترمنجهام، 2001، الصفحات 79-87). لكن "أرنولد" يرد على ذلك، بأن رسالة الإسلام لم تكن مقصورة على العرب وحدهم، بل للعالم أجمع نصيبا في ذلك (أرنولد، 1947، صفحة 34)، ومع هذا، وُرّدَ في أحد الأبحاث الحديثة، أن مسألة موضوعية المستشرقين، وانصافهم للإسلام والمسلمين، ليست إلا ضلالا وتضليلا للمسلمين، وليس كما يزعم البعض. فهي وسيلة يسود فيها التباعد بين الموضوعية والأمانة العلمية(بن عتو، د.ت، صفحة 273).

د: التسامح الديني في منظور توماس أرنولد: من صور التسامح الديني، التي أشار إليها "توماس أرنولد" في مؤلفه الدعوة للإسلام، أنه حدثنا عن أحد القسيسين الذين تأثروا بالإسلام، عندما كان التجار العرب يتاجرون معهم، واعتقادا منه أن هذا الدين يورث حسن الحظ، فحطم التابوت إلى عدة قطع، واعتنق الإسلام، ويضيف -أيضا- أن كل أولاده المسلمين، أصبحوا فيما بعد شيوخا للقبيلة، ويبدو أنهم اندمجوا مع قبيلة مسلمة؛ وما يدلنا على ذلك، وصفه الدقيق لمسلمي الحبشة، الذين كانوا بعيدين عن التعب الديني، ولا يضمرون للمسيحية أي نوع من العداء، حتى أن أتباع الدين الإسلامي في الحبشة، سيطروا على مدن كبيرة، وأسواق هامة، وظفروا بنفوذ قوي على جمهرة المجتمع (أرنولد ، 1947، الصفحات 105-107).

وفي نفس السياق، قال على لسان أحد المبشرين المسيحيين في فترة لاحقة:"... **لو أن هناك أحدا جرانيا آخر، ينهض وينشر راية النبي لصارت بلاد الحبشة مسلمة بأسرها...**"، ومما أوعزه للأسف على الطريقة التي

انتشر بها الإسلام في الحبشة وسط المسيحيين، هو قلة المادة التاريخية حول هذا الغرض، لكنه عبر عن ذلك، أنه كان للنساء المسلمات دور بالغ (أرنولد، 1947، الصفحات 106–107).

5.خاتمة: بعد دراسة وتحليل موضوع الدراسة، من خلال كتابات المستشرقين، وأولهم توماس أرنولد كأنموذج؛ توصلنا إلى عدة نتائج، والمتمثلة في الآتي:

أولا، يجب توضيح أن تناول موضوع الهجرات الحجازية إلى شرق إفريقيا، وآثارها الحضارية، في ضوء المنظور الاستشراقي، لا زال يحتاج إلى دراسات وتظاهرات علمية، لهذا أخذنا كتاب:" **الدعوة للإسلام**" لتوماس أرنولد كأنموذج للدراسة، وعند الحاجة، استندت إلى نصوص استشراقية أخرى، كتبت عن نفس الحادثة التاريخية، وذلك لمعرفة المفارقات بين كتابات المستشرقين في معالجة مواضيع مثل هذه في التاريخ الإسلامي، بالإضافة إلى ذلك تبين لي أن توماس أرنولد، يعد من أهم الكتاب المنصفين للإسلام والمسلمين، كما كان له الفضل في التأريخ لمعظم ممالك شرق إفريقيا، وإن كانت بعض الممالك لم يأت لها ذكر، لكن ما تحدث عنه، يفي بالغرض المنشود مقارنة ببعض أقرانه.

تناولنا كتابات "**سبنسر ترمنجهام**" و "**نعوم شقير**" ذو الأصول العربية اللبنانية، الذي انخرط في الجيش البريطاني، ويبدو أنه تنصر، أو كان ملزوما عليه تناول تلك الكتابات عن الآثار الحضارية للهجرات الحجازية. لا يهمنا ذلك لكن الأهم، أن كتاباتهم تميزت بالطعن في الإسلام والمسلمين، ومحاولة التقليل من الأثر الإسلامي للقبائل الحجازية في المنطقة، على عكس كتابات **توماس أرنولد**، حيث كانت أفكاره في الكثير من الأحيان تناقض أفكارهم وتدحضها.

وبهذا فأهم الآثار الحضارية للهجرات الحجازية في شرق إفريقيا، تمثلت في مجموعة من الجوانب منها: الجوانب السياسية التي تمخضت عنها ظهور مجموعة من الممالك الإسلامية، مثل: ممالك الطراز الإسلامي بالحبشة، مملكة كلوة في تنزانيا –حاليا–، ومملكة سنار، وغير ذلك؛ أما الجوانب الاجتماعية فكانت من خلال ظهور المصاهرات الاجتماعية بين الجانبين، فظهرت بذلك بطون جديدة تحمل النسب العربي والثقافة العربية–الإسلامية؛ أما الآثار الثقافية والعلمية التي قام بها المهاجرون الحجازيون في بلد الهجرة، فهي: إدخال العديد من فئات مجتمع شرق افريقيا الدين الإسلامي، وبذلك ممارسة شعائره الإسلامية، بالإضافة إلى نشر العلم ومؤسساته، وهجرة علماء المشرق الإسلامي إلى المنطقة.

أما الاقتراحات ذات صلة بموضوع البحث فنوجزها في الآتي:

– المستشرقون الذين تناولوا تاريخ شرق إفريقيا في العصر الوسيط، كانوا متعددي المهن. فيوجد الإداري، والعسكري، والمبشر، والطبيب، والجغرافي، والفيلسوف، والمؤرخ، وبالتالي فكل واحد منهم تناول الأحداث الخاصة بالهجرات من زاويته الخاصة، فمثلا يمكن تسليط الضوء حول المستشرقين الأطباء، الذين اهتموا بالتداوي والعلاج، ودور الجاليات العربية في إنتاج الدواء في بلاد النوبة.

– البحث عن الآثار المخطوطة للهجرات العربية، خاصة تلك التي اكتنزها البرتغاليين أثناء غزوهم للمنطقة، وتدمير مجموعة من آثارها الإسلامية، أهمها: مملكتي كلوة، وممباسا التي خضعت للتأثير الحجازي، لكن على حد علمي، لم ينبش في الموضوع بعد.

6. التعليقات والشروحات

01: مناجم الذهب: تقع الصحراء النوبية بين الساحل والنيل، وفي الغرب الجزء الجنوبي من الصحراء الليبية، وصحراء بيوضة، وجزء كبير من هذه المناطق خال تماما من أي نبات، وتتكون من سهول صخرية، وتلال متفرقة، والعديد من الوديان (ترمنجهام ، 2001، صفحة 20)

02: عرب هوزان: تنتسب قبائل هوزان إلى بن قيس عيلان، منهم سعد بن بكر هوزان، وفيهم استرضع النبي صلى الله عليه وسلم، ومن قبائل الحجاز –أيضا– عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوزان؛ فمن بطون عامر بنو هلال بن عامر ببن صعصعة، وبنو كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، وهم ستة بطون. للمزيد أنظر (حسن، 1986، الصفحات 41–45)

03: قبيلة ربيعة: كما وفدت قبيلة بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، التي كان إسلامها في عام الوفود (منيع الزهري، د.ت، صفحة 261).

04: النصرانية بين قبائل ربيعة: أشار توماس أرنولد عند حديثه عن قبيلة ربيعة، أن بطنها من بني تغلب، وكان على المسيحية، وقد أسلم منه بني النمر وقضاعة، جاء وفدها إلى النبي صلى الله عليه وسلم في عام الوفود، السنة التاسعة للهجرة، وأسلم الغالب منهم في عهد خالد بن الوليد، القرن 3هـ/9م (أرنولد، 1947، صفحة 94)

05: الاندماج القبلي بين القبائل: الاختلاط القبلي بين عرب الشمال وعرب الجنوب من شبه الجزيرة العربية، مسألة ضاربة جذورها في التاريخ منذ عهد النبي إبراهيم عليه السلام؛ حيث جاءت قبيلة جرهم اليمانية، وقطنت الحجاز (المباركفوري، 2007، صفحة 18) .

06: أشهر بطون ربيعة المهاجرة: بكر بن وائل وعبد القيس، وممن اشتهر من بكر شيبان وعجل ويشكر وبني حنيفة وذهل وعنزة، فوقها في النسب بينها وبين ربيعة إلا أب واحد، أسد بن ربيعة، والرجل من بن عبد القيس ينسب شيبانيا وجرميا وبكريا، وهوزان منها ثقيف عامر بن صعصعة وقشير وعقيل وجعدة (ابن عبد ربه الأندلسي، 1993، صفحة 290)

رقم07: قبيلتي الأوس والخزرج: الراجح أن وصول قبائل الأوس والخزرج إلى بلاد السودان، كان بسبب النزاعات والحروب التي حدثت بينهما، وفي المقابل تحالفت الأوس مع بعض بطون قبائل سليم مزينة، أما الخزرج تحالفت مع جهينة (أحمد عثمان ، 2007، صفحة 22)

رقم08: قبائل بن أمية: ينتسب الأمويون إلى أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، وفي عبد مناف، يلتقي بنو أمية مع بنو هاشم، وكان بنو عبد مناف يتمتعون بمركز الزعامة في مكة، لا يناهضهم فيه أحد من بطون قريش، وجميع قريش تعرف ذلك، وتسلم لهم الرياسة (الصلابي محمد، 2008، صفحة 241)

رقم09: كتابات المستشرقين: عند دراسة مجالات التأثير الحضاري للهجرات الحجازية في شرق إفريقيا، من خلال كتابات المستشرقين، اعتمدت في ذلك على الكتابات المعربة إلى اللّغة العربية، والمراجعة من قبل باحثين أكاديميين خاضعة للتعليق والتصويب، وذلك ما قرب وجهة النظر حول بعض القضايا، التي كتب حولها هؤلاء المستشرقين.

7. القائمة البيبليوغرافية:

أ/**المصادر باللغة العربية:**

–ابن بطوطة، محمد اللواتي، (1987)، **تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الأسفار**، دار إحياء العلوم بيروت.

–البكري، أبي عبيد الله، (1992)، **المسالك والممالك**، دار العرب للكتاب المؤسسة الوطنية للتحقيق والترجمة، (د.ب)

–ابن حوقل النصيبي، أبي القاسم النصيبي ابن حوقل، (1996)، **صورة الأرض**، دار مكتبة الحياة، بيروت لبنان.

–ابن عبد ربه الأندلسي، أحمد بن محمد، (1993). **العقد الفريد الج3**، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.

– العومري، شهاب الدين أحمد بن يحي، (2002)، **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، المجمع الثقافي، أبو ظبي الإمارات.

– القلقشندي، أبي العباس أحمد، (1915)، **الصبح الأعشى** الج 5، دار الكتب الخديوية، القاهرة.

–الألوسي، محمود شكري، (د.ت)، **بلوغ الارب في معرفة أحوال العرب**، (د.د.ن)، (د.ب)

–منيع الزهري، محمد بن سعد، (د.ت)، **كتاب الطبقات الكبير**، (د.د.ن)، (د.ب)

ب/ المراجع باللغة العربية والأجنبية:

–أحمد عثمان، عثمان، (2007)، **الهجرات الشرقية وأثرها في قيام حضارات حوض بحيرة تشاد في الفترة مابين4000ق.م–650م**، المكتبة الوطنية، السودان الخرطوم.

–أرنولد، توماس، (1947)، **الدعوة الى الإسلام بحث في تاريخ نشر العقيدة الإسلامية**، مكتبة النهضة، القاهرة

–إبراهيم إسحاق، إبراهيم، (1996)، **هجرات الهلاليين من جزيرة العرب إلى شمال إفريقيا وبلاد السودان**، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية –الرياض

–إبراهيم حسين، حسن، (1932)، **الفاطميون في مصر وأعمالهم السياسية والدينية**، منتدى سور الأزبكية، القاهرة

–إبراهيم دياب، أحمد، (2006)، **الهوية السودانية عبر التاريخ (دراسة تحليلية تأصيلية)**، مركز البحوث والدراسات السودانية، جمهورية مصر العربية، القاهرة

– اسماعيل علي، محمد النداء، (2012)، **الاستشراق بين الحقيقة والتضليل مدخل علمي لدراسة الاستشراق**، دار الكلمة، القاهرة

– ترمنجهام، سبنسر، (2001)، الإسلام في السودان، المشروع القومي، الخرطوم.

–الحبشي، عبد الله محمد، (1990)، **اليمن في لسان العرب**، مطابع المفضل للأوفيت، الجمهورية اليمنية.

–حسن، خالد، (1986)، **مجتمع المدينة قبل الهجرة وبعدها**، دار النهضة العربية، بيروت لبنان.

–زكي، عبد الرحمان، (1328)، **الإسلام والمسلمون في غرب افريقيا**، معهد الدراسات الافريقية، القاهرة.

–شقير، نعوم، (1981)، **تاريخ السودان**، دار الجيل، بيروت.

–صالح، حسين مجدي، (د.ت)، الاتصالات التجارية والبشرية والدينية على ساحلي البحر الأحمر سواكن ودورها في رحلة الحج إلى بلاد الحجاز حتى العصر الحديث، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة.

–الصلابي، محمد، (2008)، **الدولة الأموية عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار**، دار المعرفة، بيروت لبنان.

– عقله المومني، عبد الله خفاف محمد أحمد، (2000)، **دراسات في التراث الجغرافي العربي الإسلامي**، دار الكندي للنشر والتوزيع، الأردن.

– العقيقي، نجيب، (1964)، **المستشرقون**، دار المعارف، مصر

– فيصل محمد، موسى، (1997)، **موجز تاريخ إفريقيا الحديث**، منشورات الجامعة المفتوحة، بنغازي.

–ماكمايكل، هارولد، (1990)، **تاريخ العرب في السودان بما فيهم الشعوب التي سبقتهم وسكان دارفور**، مركز عبد الكريم ميزغني الثقافي، الخرطوم.

–المباركفوري، صفي الرحمان، (2007)، **الرحيق المختوم**، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر.

– المحسن الندوي، أبو الحسن، (1986)' **الإسلاميات بين كتابات المستشرقين والباحثين المسلمين تقييم لكتابات المستشرقين واستعراض لبحوث المؤلفين المسلمين في الموضوعات الإسلامية**، مؤسسة الرسالة، بيروت

– مسعد مصطفى، محمد، (2011)، **الإسلام والنوبة في العصور الوسطى**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.

–مقاد، نسيم، (1961)، **الرحالة في السودان في النصف الأول من القرن التاسع عشر الرحالة براون روليه**، مطبعة البيان العربي، (د.ب)

– مقار، نسيم، (1995)، **الرحالة الأجانب في السودان**، مركز الدراسات السودانية، القاهرة.

-Randall L Nehemia , Levtzion,***(د.ت)*** , History of Islam , Pouwels Ohio University Press Athens James Currey Oxford David Philip Cape Town

-Slyomovics ,Susan.***(2016)*** The merchant of art, an Egyptian Hilali oral epic poet in performance, University of California publications in modern philology, ACLS Humanities E-Book edition

– الجوهري، أبي النضر إسماعيل، (2009)، **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، جامعة الأزهر .
– عبد القادر الرازي، محمد بن أبي بكر، (1986)، **مختار الصّحاح**، مكتبة، بيروت لبنان
–عزام، خالد، (2009)، **موسوعة التاريخ الإسلامي العصر العباسي**، دار أسامة للنشر، الأردن
– الفيروز آبادي ، محمد بن يعقوب، (د.ت) ، **القاموس المحيط** ، مؤسسة الرسالة، بيروت.
–المعجم الوسيط، (2004)، مجمع اللغة العربية الإدارة العامة للترجمة وإحياء التراث، مكتبة الشروق الدولية
–المقيحفي، إبراهيم أحمد، (1985)، **معجم المدن والقبائل اليمنية**، دار الكلمة، صنعاء.
– توفيق محمد، محمد جبير، (2018)، صورة الفتوحات الإسلامية في صدر الإسلام عند المستشرقين الغربيين 1–132هـ/622–750م)، رسالة ماجيستر، قسم التاريخ ، كلية الآداب، الجامعة الإسلامية، غزة.
–الكرعاوي، سعد، (د.ت)، الهجرة الوفيات والطبقات الاجتماعية، مطلوعة بيداغوجية في مادة علم اجتماع السكان، المرحلة الثالثة .
–الأعرجي، حسين سيد نور، (د.ت) ' نتائج التهجير القسري في العراق القديم الدولة الآشورية أنموذجا، مجلة كلية التربية ، الع 28، مجلة كلية التربية.
–إبراهيم أحمد، علي، (1992)' أعمال المستشرقين مصدراً من مصادر المعلومات عن الإسلام والمسلمين، عمادة البحث العلمي النملة، الع7، الصفحات 564–519
– بشار، أكرم، (2009)، مراجعة نقدية لآراء توماس ارنولد عن الإسلام في افريقيا جنوب الصحراء حتى القرن 9هـ/15م ، مجلة آداب الرافدين، الع59.
–جاه الله، كمال محمد، (2022) ، وضع اللغة العربية في دول القرن الإفريقي، مجلة قراءات إفريقية، الع18.
–الخثلان، سعود بن محمد، (1996)، المستشرق ترمنجهام ومنهجه في دراسة انتشار الإسلام في غرب إفريقيا وموقفه من الإسلام والمسلمين، مجلة جامعة الملك عبد العزيز، الآداب والعلوم الإنسانية، (د.ع).
–خليل، عماد الدين خليل، (2006)، مراجعة كتاب الدعوة الى الإسلام للمستشرق البريطاني سير توماس أرنولد، مجلة المعرفة، الع46 .
–الدام، محمد، (2022)، الهجرة وأثرها الاجتماعي والثقافي على التعليم الإسلامي في بلاد الحبشة، مجلة الونشريس للدراسات التاريخية، المج 1 ، الع 2 .
رزق الله، مهدي، (د.ت)، السلطنة السنارية ودورها في الحياة الإسلامية السودانية، مجلة الدارة،(د.ع)
–الزغبي، أحمد، (2012)، انتشار الإسلام في الرؤى الاستشراقية "توماس أرنولد أنموذجا"، مجلة التفاهم، (د.ع)،(د.ص).
–سكيب شعبان، سعيد عامر، (2013)، الهجرات العربية والإسلامية وأثرها في السواحل الافريقية، المجلة العربية للعلوم الاجتماعية، الع3، الج2، الصفحات 326–307

– الشيخ الفادني ، حسن أحمد، (1999)، الهجرات العربية الى السودان وأثرها في تكوين المجتمعات ونشر الثقافة العربية الإسلامية، مجلة دراسات إفريقية، الع20، الصفحات (151–123)

– عبد الرزاق، خالد عبد الكريم، (د.ت) ، النشاط التجاري في مكة المكرمة قبل الإسلام، مجلة مداد الآداب،الع 15

–عبد الغني غانم، إسلام عبد الله، (2019)، مناهج دراسة التراث عند المستشرقين المنهج التاريخي، المنهج الوصفي، المنهج الأنثروبولوجي نموذجا، مجلة الرواق للدراسات الاجتماعية والإنسانية ، المج 04 ، الع 02،(د.ص).

– بن عتو، حمدون، (د.ت)، نظرة المستشرقين إلى مناهج كتابة التاريخ،(دون اسم مجلة) ، العددان 9.10

–لعمراني، آسيا، (2021) ' الهجرة القسرية وتداعيتها على المنطقة العربية، أبحاث قانونية وسياسية، المج6، الع 1.

–عوض هديل، حسين، (2018)، دور الموانئ الافريقية في تسهيل حركة الحج الى الحجاز في القرنين 6و7هـ 12–113م عيذاب أنموذجا، مجلة قضايا تاريخية.

–غنيم، عبد الشافي، (1980)، البحر الأحمر طريقا للدعوة الإسلامية، حولية كلية الانسانيات والعلوم الاجتماعية، الع2

–قمر الحاج، ربيع محمد، (2002)، **الهجرات العربية إلى بلاد النوبة والسودان الشرقي وآثارها الثقافية والحضارية**، مجلة قراءات إفريقية، الع02،(د.ص).

– كيداوي، فمور، لويسي ساديا، وآخرون، (2014)، دور الدين في إقامة العلاقات بين المجتمعات المحلية، (دون اسم مجلة)، الع 48، (د.ص).

–الهتار فهد، عبد القادر عبد الله، (2018)، المستشرق توماس أرنولد ومنهجه في كتابه الخلافة دراسة نقدية ، مجلة القلم جامعة القلم ، الع 9 .

- Christine Choi , Ahmed***(1986)*** , Title God, Anti-Colonialism and Drums: Sheikh Uways and the Uwaysiyya Permalink, A Journal of African Studies,17,

- Hanretta, Sean.***(2005)*** ,Muslim Histories, African Societies: The Venture of Islamic Studies in Africa Author(s): Sean Hanretta Review by: Sean Hanretta Source: The Journal of African History, Vol. 46, No. 3

- Henriette ,Hafsaas***.(2019)*** , The Nubian Frontier as a Refuge Area Warrior Society betweenc. 1200 and c. 1800 CE: A Comparison between Nubia and the Ottoman Balkans, Dotawo: A Journal of Nubian Studies,n 6.

Hester ,du Plessis***.(2008)*** , of Art, Design and Architecture, University of Johannesburg, South Africa and holds a Research Chair in Design Education at the National Institute of Design (NID), Ahmedabad, Gujarat, India. TYDSKRIF VIR LETTERKUNDE

–Kristen Br Sebayang .Agama . Kem ,Deva Alvina.Penyuluh.,(2016), Incomprehensive Understanding About Mohammed Volume 1, Number 1, January
- Martyn , Henry.***(2011)*** , Missionaries and Muslims in East Africa before the Great War'
- Mohd Farhan . Azi ,Abd Rahman , Nurul Hidayah.***(2017) .*** Orientalist Studies Verge on Islam, International Journal of Academic Research in Business and Social Sciences 2017, Vol. 7, No. 12 , Contemporary Islamic Studies (ACIS), Universiti Teknologi MARA, Perak Branch,
- Rashid , Nazifa,***(2015)*** , Muslims Socio-Cultural Activités in East-Africa before Europeans, IOSR Journal Of Humanities And Social Science (IOSR-JHSS) Volume 20, Issue 3, Ver. 1 Department of History, University of Chittagong
-Valerie J , Hoffman.***(2023)*** East Africa from: The Islamic World Routledge Accessedon:https://www.routledgehandbooks.com/doi/10.4324/9780203019139.ch3
- vilhanova , Slovakiaviera , ***(2010)*** RETHINKING THE SPREAD OF ISLAM IN EASTERN
AND SOUTHERN AFRICA, AFRICAN STU D ES, V ie ra PAWLIKOVÁ-VILHANOVÁ,Institute of Oriental Studies, Slovak Academy of Sciences, Klemensova, Bratislava, Slovakia
- Slyomovics ,Susan.***(2019)*** The Arab Oral Epic of the Bani Hilal Tribe Al-Sırah al-Hil ¯ aliyyah¯ Susan Slyomovics University of California Los Angeles, USA,
- Yusuf Lodhi , Abdulaziz***(1964)*** , Muslims in Eastern Africa - Their Past and Present Article · JaUppsala University | UU · Department of Linguistics and PhilologyPhD, Professor Emeritus See discussions, stats, and author profiles for this publication at: https://www.researchgate.net/publication/237730277

–محمد النور، مصطفى، (د.ت)، **استخدام الروايات الشفوية كالمصدر لكتابة التاريخ السوداني رواية الغريب الحكيم أنموذجا**، المؤتمر العلمي العالمي بعنوان: نحو منهج علمي لكتابة التاريخ (تاريخ الإسلام وتاريخ السودان نموذجاً–رؤية نقدية)، جامعة البحر الأحمر كلية الآداب الخرطوم.

–قمر الحاج، ربيع ، (د.ت). **الهجرة البشرية وأثرها في تشكيل السلوك الاجتماعي في إفريقيا: منطقة النوبة وحوض النيل** ، ندوة علمية: التداخل والتواصل، بجامعة إفريقيا العالمية، السودان.

.Henry Martyn Seminar, **Westminster College**, **Cambridge**, **9 March 2011**